الحجاج البلاغي

بين التنظير والتطبيق

(آياتٌ في بني إسرائيل من سورة البقرة)

(أنموذجا)

إعداد:

هاني عمر محمد غانم

أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدمياط الجديدة

الحجاج البلاغي بين التنظير والتطبيق (آياتٌ في بني إسرائيل من سورة البقرة) (أنموذجا)

هاني عمر محمد غانم

قسم البلاغة – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين – دمياط الجديدة – مصر .

الملخص

يتناول هذا البحث أسلوب الحجاج البلاغي، نظريًا، من حيث المراد به لغويًا واصطلاحيًا، وعلاقته باللغة العربية، وتتبع التطور الدلالي للحجاج، وعلاقته بالعلوم اللسانية ، والمدارس الأسلوبية الحديثة، وروافده الأجنبية والعربية، وسماته، والسلالم الحجاجية، والعلاقة الحجاجية وخصائصها، والإفادة في ثنايا ذلك من آراء وأفكار ونظرات بعض البلاغيين والنقاد، مع مناقشتها وتفنيدها، وكذلك الإشارة إلى بعض الإسقاطات والتصورات لكلمة "البلاغة" التي وصف بها أسلوب الحجاج هنا، كما تضمن ذلك أيضا الإشارة إلى بعض اللمحات اللغوية عند الحاجة إلى ذلك.

كما تناول البحث–بعد ذلك–أسلوب الحجاج البلاغي، تطبيقيًا، من خلال التطبيق على آيات بني إسرائيل في سورة"البقرة" التي يحاجج الله–سبحانه وتعالى– فيها بني إسرائيل، وبيان ما فيها من سمات وخصائص الحجاج البلاغي، وآثاره، ووجوه إعجازه البياني، وربط ذلك بالجانب النظري لأسلوب الحجاج البلاغي، للتأكيد على تآزر الجانبين: النظري، والتطبيقي، في شياق البحث، وأن الجانب التطبيقي يدعم ويؤكد صحة الجانب النظري بكل عناصره، من خلال ما تم الحديث عنه في الجانب التطبيقي، من خصائص

أسلوب الحجاج البلاغي في الآيات القرآنية الكريمة، المختارة للتطبيق في سياق البحث، وهي: اختيار اللفظ المناسب، والتناسب بين الألفاظ، وتخير الأسلوب الأمثل للمتلقي، وطريقة عرض الحجاج، وكيفية بناء الحجاج، والدلالات اللغوية والسياقية للحجاج.

وذلك كله من خلال النظر الفاحص الدقيق في سياق الآيات القرآنية الكريمة، والتحليل البلاغي الدقيق لأسلوب الحجاج البلاغي فيها، والوقوف الدقيق على خصائصه في سياقها، بما يبين، ويؤكد الإعجاز البياني البليغ للقرآن الكريم، في أسلوب الحجاج البلاغي، في سياق الآيات القرآنية الكريمة هنا.

وفي ختام البحث خلاصة مركزة له، وإشارة إلى أبرز الظواهر العامة، التي تمخضت عند دراسة أسلوب الحجاج البلاغي، نظريًا وتطبيقيًا.

الكلمات المفتاحية : الحجاج – التنظير – التطبيق – بني إسرائيل – سورة البقرة

Rhetorical pilgrims between theory and application (verses in the Children of Israel from Surat Al-Baqarah (as a model)

Hani Omar Mohamed Ghanim

Department of Rhetoric - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys - New Damietta - Egypt.

Abstract :

This research deals with the rhetorical style of Al-Hajjaj, theoretically, in terms of what is meant by it linguistically and idiomatically, and its relationship to the Arabic language, and it traces the semantic development of the pilgrims, and its relationship to linguistic sciences, modern stylistic schools, its foreign and Arabic tributaries, its features, the argumentative ladders, the argumentative relationship and its characteristics, and the benefit in it. From the opinions, ideas and views of some rhetoricians and critics, with their discussion and refutation, as well as referring to some projections and perceptions of the word “rhetoric” in which the method of pilgrims was described here, and this also included reference to some linguistic glimpses when needed.

The research also dealt with - after that - **Al-Hajjaj's rhetorical method, in practice, through the application to the verses of the Children of Israel in Surat Al-Baqarah,** in which God - Glory be to Him, the Most High - argues with the Children of Israel, and an explanation of the features and characteristics of Al-Hajjaj's rhetorical, its effects, and aspects of its rhetorical miracle. , and linking this to the theoretical side of Al-Hajjaj’s rhetorical method, to emphasize the synergy of the two sides: theoretical and practical, in the context of

the research, and that the applied side supports and confirms the validity of the theoretical side with all its elements, through what was discussed in the practical side, from the characteristics of Al-Hajjaj's rhetorical method in the verses The Holy Qur'an, chosen for application in the context of the research, namely: choosing the appropriate pronunciation, proportionality between words, choosing the best method for the recipient, the method of presentation of pilgrims, how to build pilgrims, and linguistic and contextual connotations for pilgrims.

All of this is done through careful examination of the context of the noble Qur'anic verses, a careful rhetorical analysis of al-Hajjaj's rhetorical style in them, and a careful examination of its characteristics in their context, in a way that shows and confirms the eloquent rhetorical miracle of the Holy Qur'an, in al-Hajjaj's rhetorical style, in the context of the noble Qur'anic verses here.

At the conclusion of the research, a focused summary of it, and a reference to the most prominent general phenomena that emerged when studying Al-Hajjaj's rhetorical method, theoretically and in practice.

Keywords : Al-Hajjaj - Theorizing - Application - Children of Israel - Surat Al-Baqarah

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد،

الحجاج البلاغي أسلوب مؤثر ومثير، ويحمل الكثير من وسائل الإقناع لغويًا وفنيًا ومضمونيًا، وهو أسلوب له منزلة عالية ومكانة مرموقة في العلوم اللسانية، التي تعد البلاغة من أهمها وأبرزها، كما له دوره المهم في القيم البلاغية، حيث يعتمد على الكثير منها، كما أنه- عند حسن استخدامه- يمكن المتحاججين به من عرض رؤاهم ونظراتهم وكشف آرائهم بوضوح، وتقديم أدلتهم المقنعة بعرض قوي مثير ومؤثر ومقنع، ويمكن المحاجج عند حسن استخدامه أثناء الحجاج- من التفوق على الآخرين والتأثير فيهم وإقناعهم بالمطلوب.

ولابد لمن يتصدى لذلك الحجاج البلاغي، أن تكون لديه أولًا الموهبة في هذا المجال، ثم يصقلها بالاطلاع الثقافي العام، والبلاغي واللساني الخاص، والإحاطة بضوابط الحجاج البلاغي الصحيح، وأسسه التي يقوم عليها، وخصائصه التي ينبغي أن تتوافر فيه.

هذا، وقد اهتم البلاغيون والمفكرون-قديما وحديثا، وعربًا وأجانب- بالحجاج البلاغي، وأشاروا في مصنفاتهم إلى أهميته، وملامحه وخصائصه، وضوابطه، والعلاقة بينه وبين البلاغة، وموقعه فيها، وعلاقته بالعلوم اللسانية الأخرى، وبالمذاهب الأسلوبيه الحديثة، وهناك مؤلفات ودراسات وبحوث كثيرة في هذا المجال ، سيشار إلى بعضها في سياق البحث.

ولأهمية ذلك الأسلوب الحجاجي في الحياة بشكل عام، وفي الدرس البلاغي بشكل خاص، وفي مجال المحاورة والجدال بشكل أخص ، وقيمته في العلوم الإنسانية ، وفي محيط المدارس والمذاهب الأسلوبية، ولما له من مكانة وأهمية في مقارعة الحجة بالحجة ، وفي تمكين صاحبه من التأثير في المتلقين أو المخاطبين به، وكذلك وضوحه ودوره الحيوي في محاججة الله–سبحانه وتعالى– لبني إسرائيل في بعض آيات سورة (البقرة)؛ لذلك كله رأيت أن أعرض لذلك الأسلوب الحجاجي البلاغي ، في هذا البحث المتواضع؛ للوقوف على ضوابطه، وأسسه، وخصائصه، وملامحه البلاغية والفنية والمضمونية، نظريًا، وآراء بعض البلاغيين والمفكرين–العرب والأجانب– في ذلك كله، ثم تطبيق ذلك على آيات بني إسرائيل في سورة (البقرة) التي يحاججهم الله – سبحانه وتعالى– فيها بالوقوف على خصائصه، ووجوه الإعجاز فيه في تلك الآيات القرآنية الكريمة.

وقد تضمن البحث العناصر الآتية:

مقدمة: وفيها حديث عن أهمية موضوع البحث، ودواعي دراسته وخطة البحث.

تمهيد: وتضمن حديثًا نظريًا عن الحجاج البلاغي، من حيث المراد به اصطلاحيًا، وبعض الإسقاطات والتصورات لكلمة (البلاغة) التي وصف بها الحجاج، وعلاقته بالبلاغة، ودور البلاغة القديمة والبلاغة الحديثة في ذلك، وتتبع التطور الدلالي للحجاج، وعلاقته بالعلوم اللسانية، والمذاهب الأسلوبية الحديثة، وأصل الحجاج البلاغي وروافده– الأجنبية والعربية– قديمًا وحديثًا– وسمات الخطاب الحجاجي، والسلالم الحجاجية، والعلاقة الحجاجية وخصائصها، وفي ثنايا ذلك بعض الإشارات واللمحات اللغوية، كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

الجانب التطبيقي: وفيه دراسة تطبيقية للحجاج البلاغي في آيات بني إسرائيل في سورة (البقرة) التي يحاجج الله – سبحانه وتعالى– فيها بني إسرائيل، وبيان ما فيها من سمات الحجاج البلاغي، وآثاره، ووجوه إعجازه البياني، وخصائصه من حيث: اختيار اللفظ المناسب، والتناسب بين الألفاظ، وتخير الأسلوب الأمثل للمتلقي، وطريقة عرض الحجج، وكيفية بناء الحجاج، ودلالاته اللغوية والسياقية، واستنطاق الآيات القرآنية الكريمة، لاستخلاص ذلك كله، من خلال تحليل بلاغي دقيق للحجاج البلاغي فيها، يعكس الإعجاز البياني البليغ للقرآن الكريم ، في سياق الحجاج البلاغي، بكل سماته وخصائصه، ووسائله المقنعة المؤثرة، في سياق الآيات الكريمة.

الخاتمة: وفيها خلاصة مركزة للبحث، وإشارة إلى أبرز ما ترتب على دراسة موضوعه من نتائج.

وأرجو –بعد ذلك– أن يكون البحث قد كشف عن موضوعه في وضوح، وحدد أهمية الحجاج البلاغي، ومدلولاته، وسماته، وأنماطه، ومصادره، وأن يكون التحليل البلاغي للآيات القرآنية الكريمة في سياق البحث قد بين– بدقة ووضوح– ملامح الحجاج البلاغي فيها، ووجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، في سياق تلك الآيات الكريمة.

والله الموفق

تمهيد:

إنَّ دلالةَ الأسماءِ على مُسمياتها، صارت كما الدلالات الفطرية التي فُطِر عليها هذا الكوْن، والذي هو في جملته كونٌ ينبض بالحياة، وكذلك المصطلحات اللغوية إطلاقها يدلُّ على فحواها ومضمونها، ومن تلك المصطلحات (الحجاج) مع إسناده إلى (البلاغة) ليصير (الحجاج البلاغيّ)، والتجوُّل داخل المصطلحات التي صارت عَلَمًا يدل على شيء ما، وأصبحت دلالته على ذلك الشيْء من المسلمات، لِزَامًا أنْ يقودك هذا المصطلح إلى العديد من الأسئلة، وعدد لا نهائي من التصورات التي يعطيك إياها المصطلح ذاته، وعند التثبت والبحث لاستنباط العلة لاختياره، وأنت في طريقك للوصول إلى أجوبة لهذه الأسئلة التي تدور بخاطرك، تكون قد تبيَّنْت مِنْ كثيرٍ مِنَ التفاصيل الجزئية لهذا العلم.

و"الحجاج بقدر ما هو مألوف كممارسة، وحاضر في كل أنشطتنا اليومية، بقدر ما هو منفلت ومستعصٍ على الإحاطة والتعريف، إذ نصادفه في الحوارات بين الأشخاص، وعلى صفحات الجرائد، وفي البرامج والمواد الإذاعية والتلفزية، ونتلمسه في النصوص والعروض الإشهارية، أو في المجلات واليوميات المتخصصة، بل إننا في لحظات مختلفة وظروف متباينة، نلجأ إلى الحجاج لندافع عن قضية أو نبرر سلوكًا؛ لندين أو نمدح، لنقف مع أو ضد، اختيار قرار، ونكون –أيضا– هدفًا لحجاج الآخرين، في السياقات نفسها وحول نفس المواقف، ومع ذلك.. فإن الحجاج كطبيعة

وعلاقات وشروط وآليات اشتغال، يكاد يكون مجهولًا[١]".

والفرق بين الحجاج والاستدلال والبرهان قد أظهره أبو هلال العسكري قائلا:

"الفرق بين الدلالة والحجة: قال بعض المتكلمين الأدلة تنقسم أقساما وهي: دلالة العقل، ودلالة الكتاب، ودلالة السنة، ودلالة الاجماع، ودلالة القياس، فدلالة العقل ضربان:

أحدهما: ما أدى النظر فيه إلى العلم بسوى المنظور فيه أو بصفة لغيره.

والآخر: ما يستدل به على صفة له أخرى.

وتسمى طريقة النظر ولا تسمى دلالة؛ لأنه يبعد أن يكون الشيء دلالة على نفسه أو على بعض صفات نفسه، فلا يبعد أن يكون دالًا على غيره، وكل ذلك يُسمَّى حجة، فافترقت الحجة والدلالة من هذا الوجه، وقال قوم: لا يُسَميان حجة ودلالة إلا بعد النظر فيهما، وإذا قلنا: حجة الله ودلالة الله، فالمراد: أن الله نصبهما، وإذا قلنا: حجة العقل ودلالة العقل، فالمراد: أن النظر فيهما يفضي إلى العلم من غير افتقار إلى أن ينصبهما ناصب.

وقال غيره: الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من الحجة وهي الطريق المستقيم،

---

(١) **النظرية الحجاجية**، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص:٧، المؤلف: د/ محمد طروس، الناشر: مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، عام النشر: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

وهذا هو فعله المستدَل وليس من الدلالة في شيء، وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها، وإنما تنفصل الحجة من البرهان؛ لأن الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد، حج يحج إذا استقام في قصده، والبرهان لا يُعرف له اشتقاق وينبغي أن يكون لغة مفردة(١)".

والخليل بن أحمد الفراهيدي قد جعل الحُجَّة وَجْهُ الظّفر عند الخُصومة(٢)، وقد أورد ابن منظور المثل العربي القائل:"لَجَّ فَحَجَّ؛ مَعْنَاهُ: لَجَّ فَغَلَبَ مَنْ لاجَّه بحُجَجِه، يُقَالُ: حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها(٣)".

فالحجاج في مفهوم البحث، هو ما أشار إليه ابن الأثير في باب الاستدراج، لكن ذا صبغة منطقية من تسلسل للنتائج مع مراعاةٍ للمقدمات، فتراه يقول:

"مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال، والكلام فيه وإن تضمن بلاغة، فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، وإذا

---

(١) **الفروق اللغوية**–لأبي هلال العسكري تـ٣٩٥هـ(٢٣٣) تحقيق: الشيخ بيت الله بيات– مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قم)، الطبعة: الأولى– ١٤١٢هـ.

(٢) **العين**–للخليل بن أحمد تـ١٧٠هـ(٣/ ١٠) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي–دار ومكتبة الهلال.

(٣) **لسان العرب**–لابن منظور تـ٧١١هـ(٢/ ٧٧٩) تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون–دار المعارف– القاهرة.

حُقِّق النظر فيه عُلِم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة، والمعاني اللطيفة الدقيقة، دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطَب بها[١]".

والخصم الذي أراده ابن الأثير إنما هو الطرف الآخر من المحاجاة ولا يشترط الخصومة، ويظل المعنى الحقيقي للحجاج المراد من اللفظ ذاته متشعبًا، وستكون النظرة إليه باعتباره **وظيفة خطابية**، ويؤيد تعريفَ ابن الأثير السابق يحي بنُ حمزة العلوي قائلًا:

"وهذا اللقب – يعني: الاستدراج – إنما يطلق على بعض أساليب الكلام، وهو ما يكون موضوعا لتقريب المخاطب، والتلطف به، والاحتيال عليه بالإذعان إلى المقصود منه، ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة، كما يحتال على خصمه عند الجدال، والمناظرة بأنواع الإلزامات، والانتماء إليه بفنون الإفحامات؛ ليكون مسرعًا إلى قبول المسألة والعمل عليها، وكمن يتلطف في اقتناص الصيد، فإنه يعمل في الحبالة كل حيلة؛ ليكون ذلك سبيلا إلى ما يقصده من الاصطياد، فهكذا ما نحن فيه، إذا أراد تحصيل مقصد من المقاصد، فإنه يحتال بإيراد ألطف القول وأحسنه، فما هذا حاله من الكلام يقال له: الاستدراج[٢]".

---

(١) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**– لابن الأثير تـ ٦٣٧هـ(٢/ ٢٥٠) تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع– الفجالة– القاهرة، الطبعة: الثانية– من دون.

(٢) **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** – ليحيى بن حمزة العلويّ تـ ٧٤٥هـ(٢/ ١٤٨)المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٣هـ.

وإنّ من المفكرين المحدثين والمشتغلين بالدرس اللغوي مَنْ جعل البلاغة حتمية من الحتميات التي لابد من الاستناد إليها والتعويل عليها في مختلف المجالات، كم"فالبلاغة اليوم أصبحت تفرض نفسها في مختلف مجالات المعرفة الاجتماعية، والسياسية، والمهنية، والقانونية، والإعلامية بكل أنواعها، وكذلك الدينية، والنفسية، فضلًا عن الأدبية، والفنيّة، حتى إن بعض النقاد المعاصرين رأى وجوب أن نُعرف الإنسان بأنه (حيوان بلاغيّ)[١]".

وهناك من يقول بأنهم قد قيدوا البلاغة بإبراز الجمال الكائن بالنص، فصارت عِلما ثانويًّا بعد النحو، ولا عجب إذن من الدعوات التي تنادي بفصل علم المعاني عن البلاغة العربية؛ لأنه ينظر إلى تركيب الجملة تمامًا كما النحو[٢]، بل ومن العلماء من ضمَّه إلى علم الدلالة.

ومن هؤلاء الدَّاعين الفيلسوف البلجيكي الذي صار عمدة للدراسات اللسانية الحديثة، ومؤسس نظرية البلاغة الجديدة (شاييم بيرلمان)، ينادي قائلًا:

"لقد سألتموني عن أسباب تدهور البلاغة واضمحلالها مع نشوء الأنظمة الديمقراطية، أي بدءًا من الربع الأخير من القرن التاسع عشر، في

---

(١) **ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة**، بحث في بلاغة النقد المعاصر –للدكتور/ محمد سالم محمد أمين الطلبة(٧)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة: الأولى– ٢٠٠٨م.

(٢) **ينظر: الأسلوب الأدبي بين الاتجاهين النحوي والبلاغي**– لصلاح عيد(٦) مكتبة الآداب، القاهرة– ١٩٩٣م.

الوقت الذي كانت فيه البلاغة واحدة من الممارسات الثقافية المميزة لدى آبائنا في الواقع، إن بلاغة آبائنا لم تهدف البتة إلى صياغة الرأي، وتشكيل مواضيع المعرفة والاعتقادات الثقافية، لقد كانت بلاغة صورية شكلانية، يُنظر لها باعتبارها فقط وسيلة من وسائل العرض التوضيحي الصِرف(١)".

وعلى ذلك ترى (بيرلمان) يقول في موضع آخر من مقال آخر:

"كل بلاغة تتمركز على أشكال محددة في التفكير والأسلوب، لا تحاول توسيع نطاق تطلعاتها إلى أقصى حد ممكن، ولا أن تتعاطى مع الحجاج البلاغي المعنيّ بالقيم في مجمله، فمصيرها الزوال سريعًا لا محالة(٢)".

وقد نُسِبَ إليه مولد مصطلح البلاغة الجديدة، بل وجُعِلَت مبادئ مدرسته هي المِنْعة التي قللت الهجوم على الأبنية البلاغية التي لا تخلو من طابع الإجراء الذي يقلل من قيمتها البرهانية، فإن مبادئ هذه المدرسة – أي : المدرسة البيرلمانية، نسبة إلى شاييم بيرلمان – تسهم بشكل فعال في الحد من غلواء التحليلات الشكلية، وتشير إلى ضرورة الاهتمام بالوظيفة على المدى البعيد في الخطاب برمته، وتصبح مهادا فلسفيا صالحا لصياغة الفروض التفسيرية اللازمة لفهم الأشكال البلاغية، وما يمكن أن يؤدي إليه

---

(١) **الأطر السوسيولوجية للحجاج**– لشاييم بيرلمان(٣) ترجمة: أنوار طاهر– مجلة الكلمة، عدد: ١٤٦–٢٠١٩م.

(٢) **ينظر: بيان من اجل ابستمولوجيا البلاغة الجديدة**– لشاييم بيرلمان، ولوسي أولبرخت –تيتكا(٣) ترجمة: أنوار طاهر– مجلة الكلمة، عدد: ١٤٦– ٢٠١٩م.

الإسراف في درجة كثافة الكمية من إهدار لفاعليتها الوظيفية، كما حدث بشكل بالغ في عصور البديع الزخرفي للبلاغة العربية، حيث أصبحت تلك الإجراءات هدفا في حد ذاته، ففقَدَ التعبيرُ قدرته الحقيقية على الإثارة الشعرية، وأحدث ردود فعل عكسية مما عزّز الشعور بالانفصام عن الواقع، وأدى إلى التدني في مستوى الخطاب الأدبي(١).

فالاعتماد على الأسلوب البياني صار أكثر من التأثيري أو الإقناعي، مع توافر الأدوات التي يمكنها القيام بتلك العملية الإقناعية في بلاغتنا العربية، لكن ولسبب ما انكبت جلُّ الأبحاث الحديثة على التبعية في تحليل الكلام بصورة معيارية، حتى يتمكن الباحث من اطلاق الحكم النقدي على صاحب النص.

وفي المقابل ترى الدراسات الغربية قد سارت شوطًا بعيدًا في توسيع حدود بلاغتها، بين الشعري والإقناعي والسردي، وغيرها من الأمور التي أصبح لها بلاغتها الخاصة بها، وكل هذا يندرج تحت مسمى البلاغة العامة، وتلك البلاغة العامة تحتضن كل الأنواع، وتبني قواعدها على فعاليات اللغة في الحياة الإنسانية تخييلًا وتداولًا وإقناعًا وتأثيرًا.

فكل هذه الدراسات وغيرها تجعل الحديث عن البلاغة ووظائفها المتعددة التي سيظل الإنسان يكتشفها مرة بعد أخرى حديثا تفرضه العودة الجديدة للبلاغة، في ظل ما تشهده المجتمعات من حراك فكري،

---

(١) **ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص**– د/ صلاح فضل(٧٢) عالم المعرفة للنشر والتوزيع– الكويت– ١٩٩٢م. (بتصرف)

وإيديولوجي، طلبا للحرية في إبداء الرأي والرأي المضاد، وعلى الرغم من التنوع في الوظائف والمشاغل البلاغية، إلا أنَّ المظهر الحجاجي يظل من أبرز خصائص الفكر البلاغي عبر مراحله القديمة والحديثة، وبالأخص المعاصرة(١).

أصل الحجاج البلاغي وروافده:

لقد تنوعت الروافد التي اتكأ عليها المفكرون عند تأسيسهم نظرية الحجاج البلاغي، بين منطقية، ونفسية، واجتماعية.

أمّا الأصل المنطقي للحجاج البلاغي: فقد بدت ملامحه مع ما أبرزه أرسطو(٢) منذ أزمنة خلت في كتابه (الخطابة)، حيث فرَّق بين نوعين من الكلام، الخطابي والجدلي (الحجاجي)، وعرّفهما في استهلاله وقضى بأنهما على العكس، وعلى الرغم من تضادهما هذا يسيران في ذات الاتجاه؛ لأن غاية كلٍّ منهما الإقناع، وقد أشار إلى ذلك في مستهل كتابه الخطابة(٣).

---

(١) **ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة**، ص: ١١.

(٢) **أرسطو**: المعلم الأول أرسطاطاليس، ويقال: أرسطو طاليس بن نيقوماخس الهجراسي الفيثاغوري، فيلسوف الروم... ومعنى أرسطو: الفضيلة، وطاليس: التام، فالمعنى: تام الفضيلة. **سلم الوصول إلى طبقات الفحول** – لمصطفى القسطنطيني المعروف بـ:(كاتب جلبي)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح– مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا– ٢٠١٠م.

(٣) يقول أرسطو: "إن الريطورية ترجع إلى الديالقطيقية، وكلتاهما توجد من أجل شيء واحد، ويشتركان في نحو من الأنحاء، وقد توجد معرفتهما لكل، إذ ليست واحدة منهما =

وهاتان الصناعتان ليستا منسوبتين إلى علم واحد، فهما غير خاصين بعلم معين؛ ولذلك تجد كل العلوم تنهل منهما.

وأما الأصل الفلسفي والاجتماعي: فهو استيفاء للنظريات التي أُطلقت بداياتها من علم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع، وقد أشار إلى ذلك محمد العمري فتراه يقول:

"أما البلاغيون فمنهم من تنبّه للخصوصيات... ومنهم من لم يهتم بالتمييز إلا بشكل ثانوي خارج عن بناء مفاهيمه البلاغية... ولقد كانت لذلك انعكاسات سلبية وإيجابية، ثم إن دراسة الخطاب الإقناعي قد صارت من الأولويات في العصر الحديث؛ فاستعانت لذلك بالأبحاث الاجتماعية والنفسية[١]".

وعلى مناهج علم النفس والاجتماع ظهرت النظريات النقدية الحديثة، من البنيوية إلى التفكيكية، مرورًا بالأسلوبية حتى التداولية، والآن الحجاج التداولي الذي بُني على إثر شيوع التداولية وتثبيت أركانها، التي ترجع بداياتها ببداية القرن التاسع عشر مع (شارل موريس) ((Charle MorreS، و(فريج)(Frege) كطرح فلسفي، وما لبس هذا الطرح الفلسفي إلا أن تبلور في الخمسينيات من القرن العشرين مع محاضرات (جون

=

علمًا من العلوم منفردًا، ولذلك ما توجد جميع العلوم مشاركة لهما في نحو". **الخطابة،** أرسطوطاليس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٩٧٩م.

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعي(١٠).

أوستين)(J. Austen)،[١] التي ألقاها في جامعة هارفارد، ضمن برنامج محاضرات (وليام جيمس)(Willam James) في عام ١٩٥٥م، وهنا كان التأسيس الفعلي للدرس التداولي المعاصر، وقد تمثل في ظاهرة أفعال الكلام التي كانت عند (أوستين)(Austeen)، وذلك من خلال كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلام)[٢]، ثم إلى تلميذه (سيرل)((Searle[٣]، ومع نهايات القرن الماضي تمت أركانها على يد (بول غرايس) الذي وضع مبدأ عامًا للحوار، وهو (مبدأ التعاون)، ثم وضع المسلمات التي يسير عليها الكلام، فإذا ما تمّ خرق لإحدى هذه المسلمات، تحدث ظاهرة الاستلزام الحواري[٤]، وبما أنّ

---

(١) "يصح أن نعتبر نظرية أفعال الكلام العامة لـ (أوستين Austeen)، أول محاولة جادة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي في كتابه (الخطابة) للقول الخطابي، والدراسة البلاغية، بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية على ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة". **ينظر: نظرية أفعال الكلام**، (المقدمة)، المؤلف: أوستين، ترجمة: عبد القادر قنيني- ١٩٩١م.

(٢) **ينظر: البنية الحجاجية** في قصة سيدنا موسى عليه السلام، د/ محمد عرابي- مشروع اللسانيات التداولية بجامعة السانية وهران، الجزائر- ٢٠٠٨م/ ٢٠٠٩م. (بتصرف).

(٣) **ينظر: العقل واللغة والمجتمع**، الفلسفة في العالم الواقعي، المؤلف: جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشر: الدار العربية للعلوم، عام النشر: ٢٠٠٦م.

(٤) ينهض مبدأ **(التعاون)** الذي وضعه (جرايس) حين تنظيره لنظريته المحادثاتية والتي تنص على: " أن التواصل الكلامي محكوم عليه بمبدأ عام، والتعاون هو ذاك المبدأ العام، وله أربع مسلمات، وهن:

١- **مسلمة القدْر (الكمية):** وتخص كمية الإخبار الذي يجب ان تلتزم به المبادرة الكلامية، وتتفرع إلى مقولتين:

أ- اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

=

الحوار مشاركة فلابد فيه من حجج لتدعيم أو تقويم، تلك هي الأصول الفلسفية.

وعلى ذلك فمصطلح الحجاج معلومٌ من القِدَم، وما البلاغة إلا وسيلة من وسائله التي يكون من خلالها التأثير على المتلقي، وقد فرّق أرسطو بين الخطيب والمحاجج بأمر هو جنس في الكلام وأصل فيه(١).

ولم يكن تكاسلًا من النقاد العرب في إنشاء نظرية فلسفية توثق العقل البلاغي الفكري، وتحافظ على نضوجه المعرفي وتطور تقنياته الخطابية، ويقوم على التقنيات الحجاجية بدلًا من الصيغ البيانية، مع توافر كل الأدوات التي يمكن من خلالها إبراز المعنى المراد من الكلام في البلاغة العربية وقواعدها، وإنما هي الصبغة الغربية وإبراز الجزء على اعتبار أنه

=

ب- لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

٢- **مسلمة الكيْف:** ونصها: "لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه".

٣- **مسلمة الملاءمة:** وهي عبارة عن قاعدة واحدة: "لتكن مشاركتك ملائمة".

٤- **مسلمة الجهة:** التي تنص على الوضوح في الكلام وتتفرع إلى ثلاثة قواعد فرعية:

أ- ابتعد عن اللبس. ب- تحرَّ الايجاز. ج- الترتيب.

وتحصل ظاهرة (الاستلزام الحواري) إذا ما تم خرق إحدى القواعد الأربع السابقة". **التداولية عند العلماء العرب(٣٤).**

(١) يفرق أرسطو قائلًا: "فليكن الريطوريون - الخطباء - هاهنا: أمّا بعض فمِنْ جهة العلم، وأمّا البعض فمن جهة المشبه، فأما هناك السوفسطي من جهة المشبه، وأمّا الديالقطيقي فليس من جهة المشبه، لكن من جهة القوة".**الخطابة** (ص:٩).

الأصل عند بناء النظريات اللسانية الحديثة.

فهذه النظريات ما إنْ أسسَتْ لها موقعًا، حتى يظهر قصورها في جانب من الجوانب، ولابد لها من رئمٍ لهذا القصور، فينادي منادٍ بأنْ قدْ وجدتُ ما به نُرمِّمُ هذا الخلل، وما هو إلا وقت قليل حتى تسمعَ بأن ما تُرَمِّمُ به الخلل هذا، قد صار النظرية الأم، مثلما قامت نظرية الأسلوبية على أنقاض التفكيكية والبنيوية، فما إنْ لبثت حتى رأوا أن الجانب التداولي متروك ومهمل في نظرية الأسلوبية، فقام (أوستين) من خلال (كيف ننجز الأشياء بالكلام) ومن بعده تلميذه (سيرل) من خلال نظرية (أفعال الكلام) بترميم هذا القصور بنظرية (التداولية)، وتلك النظرية التي جاءت في الأصل لتعالج الجانب التداولي في (الأسلوبية) صارت دُرَّةَ النظريات اللسانية.

وقد هزَّت التداولية كثيرا من المسلمات التي سادت في التحليل اللساني الدلالي، على اعتبار أن ممارسة اللغة إنجازٌ وإبداعٌ وأخلاقٌ، ولذلك اتجهت الأبحاث التداولية إلى دراسة النفس البشرية من خلال الذهن البشري[١]، وقد استمرت تلك الحقبة حتى ظهرت نظرية (البلاغة الجديدة) لـ (شاييم بيرلمان) أو (البلاغة الحجاجية الإقناعية)، التي أعادت البلاغة – في نظرة أنصار تلك المدرسة – إلى مستواها الفكري[٢].

---

(١) **ينظر: عندما نتواصل نتغير**، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج- د/ عبد السلام عشير(٦٣)الناشر: أفريقيا الشرق، المغرب- ٢٠٠٤م. (بتصرف)

(٢) **ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص**(٧٠).

فالبلاغة الحجاجية من وجهة النظر الغربية ليست قصرًا على الصور المجازية، ولا برهنة (ديكارتية) صارمة، بقدر ما هي عقلانية خارج الأنظمة الصورية للعلم، واحتمالية دون تضليل هدفها، (دراسة التقنيات الخطابية) التي من شأنها إحداث أو زيادة موافقة الآخرين، على الأطروحات المقدمة إليهم بقصد قبولها.

فالحجاج البلاغي هذا، الذي صار الوريث الجديد للتداولية؛ لأنه يبحث في التفاصيل الجزئية للكلام حين تداوله، حتى يُتبين الغاية من ورائه، وإبراز الأساليب التي انتهجها أطراف المحاورة، ومدى ملاءمتها للوصول إلى المراد على تنوعها واختلافها، وفوق ذلك قائمٌ على العلم وقوة الحجة.

وكما أن اليونان قد توصلوا إلى الفرق بين نوعي الخطاب هذا، فقد تفتقت أذهان العرب إلى تلك التفرقة مع ما توارثوه من أصولٍ للخطابة ومميزات الخطيب، وكيف يكون الحال عند المنازعة والجدال، فهو موجود في الإرث البلاغي العربي، لكن على عده لونًا واحدًا من ألوانٍ متعددة يكون عليها الكلام، فهو جزءٌ مِنْ كُلٍّ في إرثنا العربي، فقد سبق الجاحظ في رسائله لمّا جعل الكلام صناعة، ولابد للصناعات أن تساير أزمنتها، فيقول:

"ولولا الكلام لم يَقُم لله دين، ولم نبنْ من الملحدين، ولم يكن بين الباطل والحقّ فرق، ولا بين النبي والمتنبّي فصل، ولا بانت الحُجة من الحيلة، والدليل من الشُّبهة.

ثم لصناعة الكلام مع ذلك فضيلةٌ على كلِّ صناعة، ومزيّةٌ على كل أدب، ولذلك جعلوا الكلام عياراً على كلِّ نظر، وزمامًا على كلِّ قياس، وإنما

جعلوا له الأمور، وخصُّوه بالفضيلة لحاجة كلِّ عالم إليه، وعدم استغنائه عنه(١)".

وقد أشار سلفًا ابن الأثير إلى الحجاج وأطلق عليه الاستدراج، وفرَّق بينه وبين الجدل ومن ورائه حمزة بن يحي العلوي، وعلى ذات التعريف يسير عصام الدين الحنفي في أطوله فيقول:

"ويسمى الاستدراج؛ لاستدراجه الخصم إلى الإذعان والقبول، ويقولون: إنه مخادعة في الأقوال بمنزلة المخادعة في الأفعال، واعلم أنه كما يكون من نكت إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل، كون ما هو للوقوع كالواقع، يكون كون الشيء واضح اللزوم، إما في نفسه، أو بالنظر إلى لازم آخر فيستعار الماضي؛ لتحققه من حيث اللزوم، لا في نفسه(٢)".

والحِجَاج هي غاية البليغ من وراء بلاغته، فحينما عرف ابن حجة الحموي البلاغة، أشار إلى تلك الغاية التي تهدف إليها البلاغة، فيقول: "ومن غايات الإنشاء البلاغة في المقاصد، والبلاغة هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا إخلال، وإطالة من غير إملال(٣)".

---

(١) **الرسائل- للجاحظ** تـ٢٥٥هـ (١/ ٢٨٥) تحقيق: عبدالسلام هارون-مكتبة الخانجي- ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

(٢) **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم** - لإبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي تـ ٩٤٣هـ(١/ ٤٧٣) تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- من دون.

(٣) **ينظر: ثمرات الأوراق في المحاضرات** -لابن حجة الحموي تـ ٨٣٧هـ(٢/ ١٤١) مكتبة الجمهورية العربية، مصر- من دون.

وحتى تدرك أنّ الحجاج متشعبَ المعنى ومتعدد الصور، فمن أنواعه: حجاج التأثير، وحجاج الإقناع، وحجاج اللغة، وحجاج التغليط، وحجاج الجدل، وحجاج السياق، وحجاج المنطق، وحجاج الأسلوب، وحجاج السؤال، وكلها تعتمد على الأساليب البلاغية والبيانية، مع القوة القائمة على العلم بمضمون الخبر وتفاصيله الجزئية.

فالبلاغة العربية تتضمن القواعد الحجاجية من اهتمام بالمقدمات، ثم التأني في عرضها وتأمل المعطيات، وكل ذلك بغية الوصول إلى ما يرضي من النتائج، مع اشتمالها على كل وسائل الإقناع، وما القواعد البلاغية التي سنَّها العلماء العرب الأُوَل ببعيدة المنال حتى يصعب الاطلاع عليها.

وبعد هذه المطالعة السريعة على أهم المحطات التي مرت بها نظرية الحجاج البلاغي، من فلاسفة اليونان مرورا بالعرب وحتى المذاهب النقدية الغربية الحديثة، فقد بدا جليا أن الحجاج يشكل ضرورة طبيعية من ضروريات الإنسان، وذلك لاختلاف الجنس البشري وتباين ثقافته ونشأته وعقليته.

سمات الخطاب الحجاجي:

تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة وفلسفتها، فهو ينظر إلى القواعد الداخلية للخطاب، المتحكمة في تسلسل الأقوال وتَتَابُعِهَا بشكل مُتَنَامٍ تَدْرِيجِي، فالحجاج يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب(١).

ويشير الدكتور/ أبو بكر العزاوي إلى التفرقة بين الاستدلال المنطقي، والحجاج اللغوي بمثالين؛ وذلك حتى يتضح مفهوم الحجاج الذي أسس نظريته (ديكرو)، والذي انبثق من داخل نظرية أفعال الكلام التي وضع أسسها (أوستين، وسيرل)، وقام (ديكرو) بتطويرها، ويمثل د/ العزاوي قائلًا:

"الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على الاستنتاج المنطقي، فلفظة (حجاج) لا تعني البرهنة على إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية، ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

أ- كل اللغويين علماء

زيد لغويّ

إذن زيد عالم.

ب- انخفض ميزان الحرارة.

إذن سينزل المطر.

يتعلق الأمر في المثال الأول ببرهنة أو بقياس منطقي، أما المثال

---

(١) اللغة والحجاج (٨).

الثاني، فإنه لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني، واستنتاج أن (زيد عالم)، حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر، فهو يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي(١)".

ويرشد الدكتور/ محمد العبد إلى المكونات الأساسية التي يقوم عليها النص الحجاجي، وذلك من خلال عرضه لما أبرزه (وليم برانت)، بأن جوهر الحجاج إنشاء رابطة مقنعة بين عبارتين، ويبيّن أهمية القياس المنطقي في عملية الحجاج، ويرى (وليم برانت) أن الحُكم على نتيجة القياس ما هي إلا حكم على الحجج المقدمة، وذلك من حيث إنها علاقة بين منطوقات تعبر عن قضايا محددة، فالحكم عليها يكون بالصلاح أو الفساد، لا حكما عليها بالصواب أو الخطأ.

ويضع (وليم برانت) مكونات بناء النص الحجاجي في ستة أمور، وهي:

١. **الدعوى:** وهي مقولة تستهدف استمالة الآخرين، وقد تُذكر الدعوى صراحة أو ضمنًا.
٢. **المقدمات:** وهي التقرير الذي يصنعه المحاجج لدعواه، ولابد للمقدمات أن ترتبط بالدعوى ارتباطا منطقيا، حتى تصلح لتدعيمها.
٣. **المبررات:** وهي البيان للمبدأ العام الذي يبرهن على صلاحية الدعوى، وفقا لعلاقتها بالمقدمات.

---

(١) **السابق** (١٥).

٤. **التدعيم:** وهي كل ما يقدمه المحاجج من شواهد وإحصاءات وأدلة وقيَم، حتى يجعل المقدمات والتبريرات أقوى مصداقية عند المستقبل.

٥. **مؤشر الحال:** وهو كل ما يكون من تعبيرات تظهر مدى قابلية بعض الدعاوى للتطبيق.

٦. **التحفظات:** وهي الأساس الذي ينهض عليه الحكم(١).

وقد أشار القرطاجني إلى تلك الأدوات لكن بصورة مجملة، فتراه يفرق بين صناعة الشعر لأنها تقوم على التخييل، وأن صناعة الخطابة تقوم على الإقناع، وهو الغاية من كل حجاج، فيقول: "لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين، واعتماد الصناعة الشعرية على تخييل الأشياء التي يعبر عنها بالأقاويل، وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة(٢)".

وهنا يبرز سؤال يشغل الفكر، مادام الحجاج قائمًا على الحجة والبرهان، وتَتَبُّعٍ للمقدمات بغية الوصول إلى نتائج مرضية، فعلى ذلك لن يكون للخيال دور فعال في بناء النص الحجاجي، والسؤال: **هل للخيال دور**

---

(١) **ينظر: النص الحجاجي العربي**، دراسة في وسائل الإقناع- د/ محمد العبد(٤٥) فصول للنقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد: ٦٠- ٢٠٠٢م. (بتصرف)

(٢) **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**-لحازم القرطاجني (٦٢) تقديم وتحقيق:محمد الحبيب ابن الخواجة- دار الغرب الإسلامي-الطبعة الثالثة-١٩٦٦م.

في العملية الحجاجية؟.

فقد أفاضت المعاجم في الإفصاح عنه والتفرقة بينه وبين الألفاظ التي تشاركه المعنى، من الدليل والبرهان وغيرهم، وتصادفه في كل شيء لكن من الصعب تحديد كُنْه مفهومه ومعناه.

ويشير الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى القوة الكامنة في التخييل التي لا تنفك عن الجنس البشري في كل محاوراته، ويضرب لذلك مثالا في الطريقة التي بها يحلل اللغة الشعرية، فيقول:

"وينبغي أن تعلمَ أنّ باب التشبيهات قد حظِي من هذه الطريقة بضرب من السِّحْر، لا تأتي الصفة على غَرابته، ولا يبلُغ البيان كُنَه ما ناله من اللُّطف والظَّرف، فإنه قد بلغ حدّاً يرُدُّ لمعروف في طِباع الغَزِل، ويُلْهى الثَّكْلان من الثُّكْل، ويَنْفُث في عُقَد الوَحشة، وينشُد ما ضلّ عنك من المسَرَّةِ، ويشهد لِلشِّعر بما يُطيل لِسَانه في الفخر، ويُبين جُمْلة ما للبيان من القُدرة والقَدْر... [1]".

---

(١) يمثل عبد القاهر لقوة التخييل الحجاجية، ويعلق على قول ابن الرومي قائلًا:

خجِلتْ خدودُ الورد من تفضيله ... خَجَلاً توزُّدُها عليه شاهدُ

لم يَخْجَلِ الوردُ المورَّدُ لونُه ... إلاَّ وناجِلهُ الفضيلةَ عاندُ

للنرجس الفضلُ المُبينُ وإن أبَى ... آبٍ وحادَ عن الطريقة حائدُ

فضْلُ القضية أنّ هذا قائدٌ ... زَهَرَ الرياضِ وأنّ هذا طاردُ

وترتيب الصنعة في هذه القطعة، أنه عمل أوّلاً على قلب طرفَي التشبيه، كما مضى في فصل التشبيهات، فشبّه حُمرةَ الورد بحمرة الخجل، ثم تناسَى ذلك وخَدعَ عنه نفسه، وحملها على أن تعتقد أنه خَجَلٌ على الحقيقة، ثم لما اطمأنَّ ذلك في قلبه واستحكمت =

وهذا يجعل الحجاج يقبل التخييل حتى يتلاءم مع طبيعة الإنسان، والتي هي مزيج مما هو منطقي وما هو خيالي تصويري، وما الصور الشعرية التي نجدها في النصوص التي أنتجها الإنسان عبر العصور وسيظل ينتجها؛ لخير دليل على العلاقة المتينة بين الحجاج والتخييل، وإنَّما تُبْنَى صور الحجج ومدى قوتها في الخيال أولًا، بل وتوقع تأثيرها.

وعلى ذلك يمكن القول بأن هناك علاقة مهمة بين الحجاج والتخييل، وهي: (أن العمل المترتب على الحجاج ليس متوسلًا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو عمل هيأ له العقل والتدبر والنظر).

فتأثير التخييل في المخيلة معلوم، ولا تنفك النفس البشرية عن الخيال، ويسير هذا الخيال في تدرج وترَقٍّ وتغير بتغير نوع الحجاج، وما يقتضيه المقام، وهذا التدرج في الحجج قد أطلق عليه مصطلح (**السُّلَمُ الحِجَاجِيّ**).

وسيعمل البحث جاهدًا على إبراز أهم الملامح التي توضح كنهه، ومفهومه وقوانينه، ومفهومه في الخطاب والذي يرتكز على مبدأ التدرج في استعمال الحجج والأدلة؛ لأن الحجاج بوصفه استراتيجية لغوية، لا يرتبط

=

صورته، طَلَبَ لذلك الخجل عِلّةً، فجعل عِلَّته أنْ فُضِّل على النرجس، ووُضِع في منزلةٍ ليس يرى نفسَهُ أهْلاً لها، فصار يتَشوَّر من ذلك، ويتخوّف عيبَ العائب، وغميزةَ المستهزئ، ويجدُ ما يجد مَنْ مُدِح مِدْحةً يَظْهر الكذب فيها ويُفْرِط، حتى تصير كالهُزءِ بمن قُصِد بها، ثم زادته الفِطْنة الثاقبةُ والطبع المُثْمر في سحر البيان، ما رأيت من وضع حِجاج في شأن النرجس، وجهةِ استحقاقه الفضلَ على الورد، فجاء بحُسنٍ وإحسانٍ لا تكاد تجد مثله إلاّ له". **أسرار البلاغة–لعبدالقاهر الجرجاني تـ٤٧١هـ(** ٢٨٥) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر–دار المدني– القاهرة.

بالمضمون وما يحيل إليه من مرجع، وإنما يرتبط أيضا بقوة الحجج ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب.

السلالم الحجاجيَّة:

إن الحديث عن السلالم الحجاجية سيكون على اعتبارها شرطًا من شروط الحجاج، فهي من المبادئ التي يستعملها المتخاطبون ضمنيًا للحمل على قبول نتيجة ما، وعليها يرتكز الاستدلال في اللغة، وبذلك تمثل مبدأ حجاجيا عاما.

ويرتكز مفهوم السلم الحجاجي على مبدأ (التدرج) في استعمال وتوجيه الحجج والأدلة؛ وذلك لأن الحجاج بوصفه استراتيجية لغوية لا ترتبط بالمضمون، وإنما يرتبط بقوة وضعف الحجج، ومدى خضوعها لمنطق الصدق والكذب، فالمعطيات المتعددة هي التي تتحكم في تنظيم الحجج أثناء التواصل، وهذه المعطيات هي:

- مرتبة المرسل إليه.
- والسياق المحيط بالخطاب.

فلا يكون النص حجاجيًا إلا حين يحمل بذرة خلاف تتضمن قصدًا تأثيريًا، مضمرًا أو معلنًا، بِنِيَّةِ تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب، أو حمله على مزيد من موافقة داخل مسار تواصلي غير إلزامي.

وهذه الخاصية الإقناعية في البلاغة الجديدة جعلت اختيار الحجج يتحدد بعنصرين اثنين هما:

أولا: الانطلاق من المعطيات التي يمتلكها المتلقي، حتى يتسنى إقناعه بشكل تراكمي للحجج.

ثانيا: مراعاة المقام، وذلك لأن المحاجة لا تؤتي أكلها إلا إذا اعتمدنا على حجج مضادة للحجج التي يُركز عليها الخصم في بناء خطابه.

وعلى ذلك فإن الخطاب الحجاجي يُعرف بأنه خطاب يستنفر كل الطاقات الإقناعية لدى المرسِل، من أجل الدفاع عن وجهة نظر ليجعل المتلقي يذعن لها، وعلى ذلك يقول الدكتور/ حمو النقاري:

"إن السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية الحجج[١]".

وتتجسد تلك السلالم الحجاجية وفق الشكل الآتي:

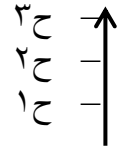

والمقصود من (ح١،ح٢،ح٣) ترمز إلى الحجج المعتمدة أثناء التخاطب؛ لتفضي إلى النتيجة (ن)، ومثال ذلك:

فالنتيجة (ن) = زيد ناجح.

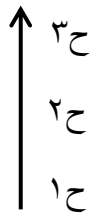

زيد الأول على الدفعة.

زيد مجتهد.

زيد يراجع دروسه.

فمن خلال المثال السابق تجد تدرجا وترتيبا في استعمال الحجج (ح١، ح٢، ح٣)، في منحنى تصاعدي يؤدي إلى النتيجة (ن) ضمن سلم

(١) **التحاجج**، طبيعته ومجالاته ووظائفه- لحمو النقاري(٥٩) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة: الأولى- ٢٠٠٦م.

حجاجي[١].

وتنطلق نظرية السلالم الحجاجية من إقرار التلازم في عمل المحاجاة بين القول الحجة ونتيجته[٢]، وهذا التلازم يفرض ربط الحجة المستعملة بالنتيجة المقصودة، سواء كانت صريحة أو ضمنية تتلمسها في سياق الخطاب.

وتؤدي اللغة العربية وظيفة حجاجية عبر مجموعة من الروابط الدالة على الحجاج والإبطال، وذلك مثل: بل، لكن، حتى...

وقد حدّد (ديكرو) ثلاثة قوانين تحكم العلاقة التراتبية بين الحجج التي تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، وهي:

- **قانون النفي:** بمعنى أنَّ نفي الحجة يعني عكس النتيجة، فمثلًا إذا كان القول (أ) يخدم نتيجة معينة، فإن نفيه (لا أ) يصبح حجة للنتيجة المضادة.
- **قانون القلب:** وهذا القانون مبني على قانون النفي السابق، ولكن الفرق بينهما أن قانون النفي يتعلق بالحجة مفردة، أمّا قانون القلب يتعلق بالفئة الحجاجية بكل حججها، وبذلك يكون قد عكس سلَّم الترتيب الحجاجي، وبذلك تصبح كل الحجج التي تثبت نتيجة محددة بأماكنها

(١) **ينظر: السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب**، مقاربة تداولية–المؤلف: د/ حمدي منصور جودي(ص١) مجلة مقاليد، العدد: ١٣– ٢٠١٧م. (بتصرف)

(٢) **ينظر: الاستدلال الحجاجي** وآليات اشتغاله– د/ رضوان الرقبي(٩٣) الناشر: مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد: ٢، مجلد: ٤٠، عام النشر: ديسمبر ٢٠١١م. (بتصرف)

في السلم الحجاجي، يتم عكس ترتيبها في حالة النفي.

- **قانون الخفض:** وهذا القانون يعني أن كل ما يَصْدُق على حجة محددة في السلم الحجاجي، يَصْدُق على كل ما يقع تحتها في السلمَّ الحجاجي(١).

ومن ثمَّ يوضح (ديكرو) العلاقة بين القول اللغوي والسياق الذي يرد فيه، مع ربْط ذلك بالمكونات البلاغية، مما ينتج عن هذا القول معنى، ويقول بأن كل قولٍ مُكَوَّنٌ من مُكَوِّن لغوي، وهذا المكوِّن اللغوي ما يعطي دلالة للقول، ودلالة القول تنبع من المكون البلاغي، وهنا يمكن استخراج معنى القول في سياقه الذي ورد فيه(٢).

فالحديث عن البلاغة وحجاجيتها بعد انتقالها من لغة موضوع إلى لغة واصفة، يجعلك تنظر إليها على اعتبار أنها أضحت تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة، كتحليل الخطاب والأسلوبية والقراءة (٣)وغيرها، وهذا يجعلك تنظر إليها بأنها ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم، بل تنْزع إلى أن تصبح عِلما واسعا للمجتمع، بل هي الأفق المنشود والملتقى الضروري للتداولية، وعلم النص، والسيميولوجيا، وهي النموذج

---

(١) **ينظر: من أنماط الحجاج في علم المعاني**- للدكتور/ على فتح الله أحمد محمد(١٣٩٠) الناشر: مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا- من دون.

(٢) **السابق**، ص: ١٣٧٢.

(٣) **ينظر: قراءة جديدة للبلاغة القديمة**- لرولان بارت، ترجمة: عمر أوكان(٨) الناشر: مطبعة إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة: الأولى- ١٩٩٤م.

المؤمّل عليه للعمل الإنساني في إطاره الشامل الجديد(١).

فقد أصبحت البلاغة قادرة، ليس فقط على التأثير وتحويل القول والصورة فعلا وممارسة، وإنما أصبحت متحكمة في أذواق الناس، تساعد على صياغتها وإعطائها الوجهة التي تهيئها لقبول ما يُقترح عليها، وهذه التهيئة لقبولٍ ما، يقترح على المتلقي إنما يُسِّرت بهذه القوة التأثيرية التي تحملها الوظيفة الحجاجية للبلاغة، التي جعلت تمرير الأفكار والتصورات والأخيلة التي تريد تمريرها، على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي، والغاية هي إبعاده عما كان يعمر ذهنه وإحلال ما تريد أنت مكانه، بتحريك الإعجاب بما تعرض عليه، أو تخلق الصدمة أو الفتنة أو الإقناع.

فأنت تتكلم باستغلال تقنيات الحجاج الكامنة في البلاغة، بقصد دفع المخاطب إلى القيام بمناورات أو تمثلات مختلفة متعلقة بموضوع معين؛ لكسب أو مضاعفة تعاطف المستمع بشأن الأطروحات المقترحة للحصول على موافقته(٢).

وكأن عبد القاهر الجرجاني يبيّن أنَّ البلاغة لها وظائف متعددة لا تستطيع أن تحصرها فقط في الجانب الجمالي التزييني، وإنما جعلها تتسع لتشمل الجانب الحجاجي وغيره حيث يقول:

"واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية

---

(١) **بلاغة الخطاب وعلم النص**، لصلاح فضل(٢٥١). (بتصرف)

(٢) **تجليات الخطاب البلاغي**، لحمادي صمود (١٣٤). (بتصرف)

إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً... وإن كان حِجاجاً، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر[١]".

وإلى ارتباط البلاغة بالحجاج الارتباط الوثيق أشار السكاكي إلى هذا المعنى قائلًا:

"وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية، وهي الانتقال من معنى على معنى بسبب علاقة بينهما، كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني، ثم إذا عرفت أن اللزوم إذا تصور بين الشيئين، فإما أن يكون من الجانبين كالذي بين الأمام والخلف بحكم العقل، أو بين طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد، أو من جانب واحد كالذي بين العلم والحياة بحكم العقل، أو بين الأسد والجراءة بحكم الاعتقاد، ظهر لك أن مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين، جهة الانتقال من ملزوم على لازم، وجهة الانتقال من لازم على ملزوم، ولا يربك بظاهره الانتقال من أحد لازمي الشيء على الآخر[٢]".

وفي هذا الإطار تجد أن البلاغة الجديدة في علاقتها بالحجاج تهدف

---

(١) **أسرار البلاغة** (١١٥).

(٢) **مفتاح العلوم** –للسكاكي تـ ٦٢٦هـ(٣٣٠)، تحقيق: نعيم زرزور– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية– ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

إلى التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور.

العلاقة الحجاجية وخصائصها:

إن العلاقة الحجاجية لا يمكن أنْ تُحدَّد كعلاقة منطقية؛ لأن الحجاج البلاغي ليس أسلوبًا أو فنًا بلاغيًا، كما أنه ليس أسلوبًا كلاميًا كالاستفهام والتعجب، إنما هو طريقة في الكلام تسري خلال الخطاب، من أجل تحصيل غرض التأثير والإقناع، ثم إلزام المتلقي على إنجاز المطلوب.

فالحجاج وصف يسري في الكلام بدلالاته اللغوية والسياقية، من أجل التأثير على المتلقي وإقناعه وإلزامه بإنجاز المطلوب، فهو بالنسبة للبلاغة العربية كما الجزء الذي يسري في الكل، ولا يمكن انفصاله عن البلاغة ولا يمكن أن تقول: إنه هو البلاغة.

وطريقة بناء الخطاب الحجاجي من وجهة نظر البلاغة هي كالآتي:

- **تخير اللفظ المناسب:** وذلك لأن لكل نوع من أنواع الخطاب ألفاظه.
- **التناسب بين الألفاظ:** وإلى نوع هذا التناسب أشار أبو سليمان الخطابي قائلًا:

"إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم[١]".

(١) **بيان إعجاز القرآن**– ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، لأبي سليمان الخطابي =

- **تخير الأسلوب الأمثل للمتلقي:** فلكل مقام مقال، وقد أشار إلى ذلك السكاكي في تعريفه للبلاغة قائلًا: "البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها(١)".
- **طريقة عرض الحُجج:** فالطريقة التي بها يكون عرض الحجج هي التي تبلغ بالمخاطِب مبلغه من المخاطَب، ولذلك عرفها أبو هلال العسكري قائلًا:

"البلاغة كلّ ما تبلّغ به المعنى قلب السامع، فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن(٢)".

ولذلك لا يشترط استعمال الأسلوب الأبلغ، لكن العبرة بما وافق المقام.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:"اعْلَمْ أنَّ سبيلك أَولاً أَنْ تَعْلَم أنْ ليستِ المزيةُ التي تُثْبتها لهذه الأجناس عَلَى الكلام المتروكِ على ظاهرِه، والمبالغةُ التي تدَّعى لها في أنفسِ المعاني التي يَقْصِدُ المتكلمُ إليها بخَبَرِه، ولكنها في طريق إثباتهِ لها وتقريرِه إياها.

تفسيرُ هذا: أنْ ليس المعنى إذا قلنا: "إن الكنايَة أبْلغُ منَ التَّصريح"،

=

تـ ٣٨٨هـ(٢٧)، تحقيق: محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة-١٩٧٦م.

(١) **مفتاح العلوم** (٤١٥).

(٢) **كتاب الصناعتين**، الكتابة والشعر-لأبي هلال العسكري تـ ٣٩٥هـ(١٠) تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت-١٤١٩هـ.

أَنك لمَّا كنَّيْتَ عن المعنى زِدْتَ في ذاته، بل المعنى أَنك زِدْتَ في إثباتهِ، فجَعلْتَه أبلغَ وآكَدَ وأَشَدَّ، فليستِ المزيةُ في قولهم: "جَمُّ الرماد"، أنّهُ دلَّ على قِرًى أكثرَ، بل المعنى إنك أَثبتَ له القِرى الكثيرَ من وجهٍ هو أَبلغُ، وأوجَبْتَه إيجاباً هو أَشدُّ، وادَّعيْتَه دَعْوى أنتَ بها أَنْطَقُ، وبِصِحَّتها أَوْثَقُ[١]".

وذلك لأن غاية المحاجج وغاية البليغ هي الإقناع، وعلى هذا فإن نظرة الحجاج البلاغية إلى الكلام، ستكون من خلال الغرض الذي سيق لأجله الكلام على هذه الطريقة، ولتعرف أن لكلِّ حجةٍ حجةٌ مضادة، بنفس الأدلة، وذات البرهان، ويشير الدكتور/ طروس إلى هذا قائلا:

"فالخطاب الحجاجي يتموضع في مقابل خطابٍ مضاد، بهذا المعنى لا ينفصل الحجاج عن الجدل؛ لأن الدفاع عن أطروحة أو نتيجة، يقابله دفاع عن أطروحات أو نتائج أخرى[٢]".

وللعلاقة الحجاجية أربع خصائص دلّت عليها طريقة الحجاج، وهي:

- توجد علاقة حجاجية بين مقولين (دليل، د) و (نتيجة، ن)، وهي علاقة الإثبات، حيث أن الدليل يجعل النتيجة مقبولة.

---

(١) **دلائل الإعجاز** – لعبدالقاهر الجرجاني تـ٤٧١هـ(١/ ٧١) تحقيق: محمود محمد شاكر–مطبعة المدني–دار المدني–الطبعة الثالثة–١٤١٣هـ.

(٢) وذلك لأن الدخول في الجدل لا يعني عدم الاتفاق فقط، وإنما يعني– أيضا– أن المجادل يملك حججًا مضادة، هذه الخاصية الجدلية المتمثلة في القابلية للدحض من أهم الخصائص الجوهرية التي تميز الحجاج من البرهنة أو من الاستنباط، الذين يقدمان في نسق معطى بكونهما غير قابلين للدحض، من هنا تختلف العلاقة الحجاجية عن العلاقة المنطقية". **ينظر: النظرية الحجاجية**(١٠٨).

- العلاقة الحجاجية ليست بالضرورة علاقة بين عبارتين لسانيتين صريحتين، فقد تكون النتيجة ضمنية، أو أنَّ الحجج طبيعتها غير لسانية، فالألفاظ وحدها جزء، وللدلالات[١] الأخرى نصيبها في العملية الحجاجية.
- حين تكون النتيجة ضمنية، فإنها تأتي عن طريق الاستنتاج، وهذا يلزم المتلقي بأن يستخرج من النص المعلومات الكافية لاستنباط النتيجة الضمنية.
- إن قيمة الحجة تحدد بما تحدثه من تناقض، وكل حجة لها قيمة في النتيجة، يقابلها حجة مضادة لنتيجة معاكسة بنفس القيمة والمقدار.

وملخص هذه الخصائص أنَّ الحجاج يقوم على مبدأين هما: القوة الحجاجية، والتناقض الحجاجي[٢].

مكونات الحوار الحجاجي:

يشير الدكتور/ محمد طروس إلى مكونات البرنامج الحواري التداولي الحجاجي، ويذكر أنه يقوم على مكونات خمس، وهي:

١- **المكون الفلسفي:** حيث تؤكد مفاهيم العقلانية والمقبولية على معقولية وضرورة قياسات الأرضية المشتركة في الممارسة.

٢- **المكون المعياري:** حيث يدمج مفهوم استراتيجية الحجة التي

---

(١) قد حصر الجاحظ أنواع البيان بخمسة لا تزيد ولا تنقص هي: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والحال. **ينظر: البيان والتبيين** (١/ ١١).

(٢) **ينظر: النظرية الحجاجية** (١١٠). (بتصرف)

يتبناها النموذج المعياري؛ لتوسيع نظرية التداول الجدلي.

٣- **المكون التحليلي:** حيث الحاجة إلى نظرية الإلزام التواصلي لتحديد الشروط الملزمة للمشاركين باختزال الاختلاف بين خطاباتهم وبين إعادة التحليل الجدلي لهذه الخطابات.

٤- **المكون التجريبي:** حيث تمحص النتائج العملية لمختلف طرق وصف الحجاج.

٥- **المكون العملي:** حيث تنظر الطرق الموجهة للخطاب؛ لينتظم مع النموذج المعياري للحديث الخلافي(١).

وعليه فإن الحجاج البلاغي آلية حوارية تداولية تنظيمية، تدير الخلاف في إطار تناوب حواري تعاوني، ويخضع للنشاط الكلي للفعل اللغوي، فهو طبيعة عقلانية واستراتيجية يتحقق كمقطع موسع تنتظم داخله الأفعال الفردية، وفق شروط خاصة للإنجاز، فهو نتيجةٌ للتفاعل بين النص والسياق، وذلك من خلال دمج العلاقات الإقناعية بأبعادها التداولية والتواصلية والذاتية، حتى يشتغل الحجاج كفعل لغوي يخضع لشروط الفعل الإنجازي(٢).

إنَّ الاختلاف الفكري الذي أسس جذوره **علم الكلام** واستحداثه التقنيات الحجاجية، كان هو حجر الزاوية في تحويل العقل البلاغي العربي من صيغ بيانية، إلى خطاب فكري تبلور من خلال الفلسفة، وأثبتت البلاغة نجاحها

---

(١) **كتاب الصناعتين** (١٦٤).

(٢) **ينظر: النظرية الحجاجية**، د/ طروس(١٦٩). (بتصرف)

وأنها قادرة على احتواء كل أنواع الكلام بصورته التخييلية النمطية أو صورته التداولية، حتى وإن حوصرت تحت مسميات لطمس هويتها وتغيير مسماها، لكنها ستظل وراء الغاية من كل كلام.

يقول الدكتور/ بو عافية محمد عبد الرازق:

"إن البلاغة العربية لا تزال ترقص في الأغلال، خاصة في المناهج التعليمية، ومازال الأساتذة في ربوع الوطن العربي يتخذون من (إني أرى رؤوسًا قد أينعت...)، نموذجا ليشرحوا به الاستعارة، وكأن العربية بأساليبها وقف بها الزمن وعقمت ليبقى فيها شاهد وحيد على أحد أكبر أفنانها، وهي سلطنة الاستعارة، أما الإجراءات التطبيقية التي تتخذ من المقولات البلاغية وأبوابها محورًا للتطبيق على النصوص والخطابات، فهي مهزلة من طراز رفيع المستوى(١)".

وهذا يدل على عدم التعمق في كلام البلغاء؛ لأن البلاغيين العرب لم يدعوا أمرًا من الأمور التي بها تكمل بلاغة اللفظ أو التركيب إلا وناقشوه، وعلى الرغم من احتواء البلاغة العربية على المناقشات التي تهتم بالإشارات والإيماءات وأنها موجودة في الإرث البلاغي، لكنها قضت وقتًا طويلًا مجرد إيماءات أشار إليها العلماء الأُوَل في ثنايا مخطوطاتهم ولم تحظ بالتأمل والتحليل، إلا عند القليل.

ولطالما حاول النقاد المحدثون ممن طالعوا الدراسات الغربية، الهروب

---

(١) **ينظر: البلاغة العربية والبلاغات الجديدة**، قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة(٨).

من عباءة البلاغة العربية، وقد قوَّى مذهبهم هذا ما شهده العصر الحديث من فصلٍ بين مختلف العلوم الإنسانية، التي ظهر على إثْرها العديد من التخصصات، ليشغل الخاطر العديد من الأسئلة التي تبحث عن مواضع التداخل بين هذه التخصصات المستحدثة في إطارٍ من التكامل المعرفي(١)(٢).

والذي أعطى الجرأة للنقاد المحدثين في نظرتهم إلى البلاغة العربية الكلاسيكية، بل وتفنيدها والبحث عن الأمور التي يمكن ألا تنالها يد البلاغة، بل ووصمها بأن بها قصورًا في إبراز أحد الجوانب المهمة في كل كلام، وهو تداولية الخطاب أو مشافهة الحديث؛ فعلَّتهم في ذلك أن هناك مساعدات مقامية أخرى تساهم في عملية إتمام التواصل، منها المشافهة، والتعابير الشكلية التي تُعبِّر عن مضمون الألفاظ ومُفادِها.

---

(١) **ينظر: بلاغة الحجاج الأصول والامتداد** – تأليف: هندة كبوسي(٢٥) مجلة تاريخ العلوم، جامعة أم البواقي، العدد: التاسع، عام النشر: سبتمبر ٢٠١٧م.

(٢) يقول الدكتور/ محمد العمري: "أما البلاغيون فمنهم من تنبّه للخصوصيات، واعتبرها عند تأليفه، مثل: قدامة، وابن رشيق، وحازم، واسحاق بن وهب... ومنهم من لم يهتم بالتمييز إلا بشكل ثانوي خارج عن بناء مفاهيمه البلاغية، مثل: ابن سنان الخفاجي، وأكثر المشتغلين بالإعجاز، ولقد كانت لذلك انعكاسات سلبية وإيجابية، ثم إن دراسة الخطاب الإقناعي قد صارت من الأولويات في العصر الحديث؛ فاستعانت لذلك بالأبحاث الاجتماعية والنفسية، بعد هذا يستغرب المُتتبِّع انقطاع دارسينا عن القديم، وعدم مسايرتهم للحديث في دراسة الخطاب الإقناعي، وتراثنا منه ما يضاهي التراث الشعري، أو يأتي بعده". **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية(١٠).

فيقول الدكتور محمد سالم أمين الطلبة:

"إذا كانت البلاغة القديمة – اليونانية والعربية – قد تناولت قضية الحجاج، إلا أنها لم تتناول أبعادها كلها، حيث تم الاكتفاء بالإشارات إلى مقامات السامعين، والهيئة التي على الخطيب أن يكون عليها، والمؤكدات التي عليه دعم خطابه بها، أي إن تناول قضية الحجاج قد دار في إطار الخطاب الشفوي المباشر من جهة، ثم المساعدات المقامية الشكلية من جهة أخرى(١)".

فهذا القول تعسفه بيِّن، فقد لوَّح الجاحظ إلى الحجاج البلاغي مناط الاعتبار والدراسة ووجوده في اللسان العربي، حينما جعل الدلالات على المعاني خمسة، والحجاج يمكن إدراجه في دلالة الحال التي تسمى نُصْبة، فتراه يقول:

"جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات(٢)".

ويشير سعد الدين التفتازاني إلى تلك الإشكالية التي أقامها المحدثون، ألا وهي مشافهة الحديث، والتعابير الشكلية التي تساعد في إتمام عملية التواصل، فيقول:

---

(١) **الحجاج في البلاغة المعاصرة** (٧).

(٢) **البيان والتبيين** (١/ ٨٢).

"لا شك أن قصد المخبِر، أي من يكون بصدد الإعلام، لا من يتلفظ بالجملة الخبرية، فإنه كثيرًا ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخرى سوى إفادة الحكم أو لازمه...[١]".

ويجدد مناقشتها الدكتور محمد أبو موسى، بل وعدّها من المواضع الشريفة التي لا يهتدي إليها إلا ذكي النفس دقيق الحس واسع الخيال، فتراه يقول:

"وقد يجري الكلام على خلاف الظاهر من حال المخاطب، أي: أن المتكلم لا يعتدّ بهذا الواقع في صياغته، وإنما يجري على أمور اعتبارية تنزيلية يلحظها هو، ويعتبرها مقامات يصوغ عبارته على مقتضاها، وذلك موطن دقيق، لا يهتدي إلى مواقعه الشريفة إلا ذكي النفس، دقيق الحس، واسع الخيال.

فمن ذلك أن تكون الجملة أو الجمل السابقة متضمنة إشارات أو إيماءات تثير في النفس المتلقية تساؤلًا فتسعفها الجملة الثانية بما يزيل التردد...[٢]".

وعلى الجملة فإن كل هذه الدراسات التي أنتجت القواعد والنظريات، تساهم بشكل مباشر في إثبات إعجاز القرآن الكريم، وتدلل على العبقرية

---

(١) **المطول**، شرح تلخيص مفتاح العلوم- لسعد الدين التفتازاني(١٧٩) تحقيق: الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٢) **خصائص التراكيب**، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، (٥١).

والسحر التي تتحلى بهما اللغة العربية، وتبرز الخصائص التي امتاز بها اللسان العربي وعليه امتازت بلاغته، ولقد ارتقت الدراسات التي تدور حوله على أيدي علماء ضنَّ الزمان أن يأتي بمثلهم.

النموذج التطبيقي للحجاج البلاغي:

في هذه الآيات الكريمات التي يحاجج فيها المولى ﷻ بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمائه عليهم، ستظهر القيمة البلاغية بإجراء القواعد الحجاجية عليها، وسينكشف المعنى المقصود من وراء الاستعمال الأمثل للألفاظ في صورتها المفردة، ثم دلالة التراكيب التي تساعد على استنباط المعنى الحجاجي، من خلال المعطيات التي تتضح أثناء عرض الحجج، وكل ذلك للوصول إلى مرحلة إقناع المتلقي.

يقول الله ﷻ في محكم التنزيل:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ

ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1].

ولبيان الحجج التي ألزمها الله ﷻ بني إسرائيل، إنما يكون عن طريق النظر إلى الألفاظ التي دلّتْ على مراده ﷻ باعتبارها المقصود الأول لبناء الجملة ثم التراكيب، وقد أشير إلى دعائم الخطاب الحجاجي الأربع، ومجملها: **تخير اللفظ المناسب، التناسب بين الألفاظ، تخير الأسلوب الأمثل للمتلقي، طريقة عرض الحُجج**، وبالذي أشير إليه في بيان كيفية بناء الحجاج ودلالاته اللغوية والسياقية، فإن الغرض هو اقناع المخاطَب

(١) **سورة البقرة**، آية رقم: ٤٧: ٥٧.

وإلزامه بإنجاز المطلوب، من إبرازٍ للقيمة الحجاجية للألفاظ في صورتها المفردة، ثم النظر إلى الجملة من جهة التركيب وما يُبنى عليها من استعمالٍ للأسلوب الأمثل الذي يدل على بلاغة المتكلم وحنكته في إبراز حججه؛ لأن كلًّا من الجهتين ينظر إلى الجملة في حالة تمامها، ثم توضيح الكيفية التي كان عليها عرض الحجج.

فمن جهة اختيار اللفظ المناسب:

فقد استُعْمِلت الألفاظ في موضعها اللائق لتحْدِث الأثر المنشود للغرض المقصود، فاستهلاله ﷻ بقوله: "**يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ** "، كنَّى عن قوم موسى عليه السلام بتذْكِيرِهم بنَسَبِهم لأبيهم الأول، حتى يستذكروا ما كان عليه من إيمان وخضوع للأوامر الإلهية لكي يرُدَّ ما بهم من عناد، وكأنَّ نسبتهم إلى إسرائيل[1] عليه السلام هي أوْلَى النعم التي ينبغي عليهم أن يستذكروها، ثم ما هو على مقتضى هذا النسب من اتباع للوصية التي أوصاهم بها أبوهم، فكأن المولى ﷻ يذكرهم بآخر وصايا إسرائيل لأبنائه وهي قوله تعالى:

﴿**وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ**

(١) **يقول الطبري**: "كان يعقوب يدعى إسرائيل، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه؛ وإيل هو الله؛ وإسرا: هو العبد". **جامع البيان عن تأويل آيَ القرآن**- لمحمد بن جرير الطبري تـ ٣١٠هـ (١/ ٥٩٣)، تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾(١).

وكأنه – سبحانه – يقول لهم: تلكم وصية أبيكم، وهذا هو الإسلام قد جاءكم، أمَا آنَ أنْ تتبعوه؟!، فألزمهم بالحجة بما هو مرتكز في نفوسهم وطباعهم، إنه النسب الشريف فمنتهاه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وذلك من لفظ المنادى الذي ناداهم به المولى ﷻ.

ثم قوله تعالى: "**نِعْمَتِى**" بالكسر دون الفتح، فالفرق بينهما أن النِّعْمَةَ –بالكسر– أعم من أختها التي هي بالفتح(٢)، وذلك لأنها تشمل المعنوي والحسي، وكذلك لتميزها عن غيرها من الألفاظ التي تدل على طيب العيش، كالخير، واللذة وغيرها(٣).

---

(١) **سورة البقرة**، آية رقم: ١٣٢: ١٣٣.

(٢) **نَعِمَ**: يَنْعَمُ، نَعْمةً فهو: نَعِمٌ ناعمٌ بيّنُ المَنْعَم. **العين** ٢/ ١٦١، أمّا **بالكسر**: نعِمَةُ الله: مَنُّه وعَطَاؤُه بِكَسْر النُّون،... وَاحِدَة الأَنْعُمِ نِعْمَةٌ. **تهذيب اللغة** (٣/ ٩)، وقيل في الفرق بين **النِّعَمة والنَّعْمَةِ**: إن النَّعْمَة ما يعطى للعبد إرادة استدراجه فيها وهلاكه، والنِّعْمَة هي: منة الله تعالى على عباده تفضلا عليهم. **تفسير الماتريدي**– لمحمد الماتريدي تـ ٣٣٣هـ(١٠/ ٢٨٣) تحقيق: د/ مجدي باسلوم– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى– ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣) الْفرق بَين الْخَيْر وَالنعْمَة: أَن الْإِنْسَان يجوز أَن يفعل بِنَفسِهِ الْخَيْر كَمَا يجوز أَن =

وفي ذلك تنوع وتعدد للنِّعَم مع ما يقتضيه هذا التنوع وذاك التعدد، من تنَعُّمٍ للمنعَمِ عليه، وأنه كان يعيش حياة الترف والبذخ، فذاك الغمام الذي تراه في الأفق، كان يظلِّلُهم أينما راحوا، ولا تتعجَّل العجب من أمر بني إسرائيل، فما النِّعَمُ التي رزقوها بأقلَّ من تظليل الغمام غرابة وعُجْبًا، لكن أشدّ!.

ثم استعمل لفظ ﴿تَجۡزِي﴾ الذي يجعل النفس تقف أمام ذاتها لتردها باليقين وليس بالظن، فهذا اللفظ وما يحمل من المعاني الحجاجية، له دلالات تخصه دون غيره من الألفاظ التي تدل على الثواب والعقاب، فقد قال في معناه الصاحب بن عباد:

"**جزى**: تَجَازَيْتُ دَيْني: أي تَقَاضَيْته، والمُتَجازي: المُتَقَاضي، والجَزَاءُ: المُكافَاةُ بالإِحْسَانِ والإِسَاءَةِ، والفِعْلُ: جَزى يَجْزي، وفلانٌ ذو جَزَاءٍ: أي غَنَاءٍ، والجِزْيَةُ: الخَرَاجُ، وجِزْيَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ، والجَزَاءُ: القَضَاءُ، يقولون: لا يَتَجَازى بها العَرَبُ: أي لا يَجِدُوْنَ مِثْلَها، وجَزاؤُها: بَدَلُها[1]".

وتلك الدلالات تجعل من اللفظ في ذاته حجة، فدلل على المكافأة لمن اتبع الطريق القويم مع الغنى الذي لا يوجد مثله، مع ما يضادهما من

=

ينفعها وَلَا يجوز أَن ينعم عَلَيْهَا،... والْفرق بَين **النِّعْمَة والنعماء**: أَن النعماء هِيَ النِّعْمَة الظَّاهِرَة... وَالنِّعْمَة قد تكون خافية فَلَا تسمى نعماء،... والْفرق بَين **اللَّذَّة وَالنعْمَة**، أَن اللَّذَّة لَا تكون إِلَّا مشتهاة وَيجوز أَن تكون نعْمَة لَا تشْتَهى كالتكليف،... والْفرق بَين **النِّعْمَة والْمنَّة**: أَن الْمِنَّة هِيَ النِّعْمَة المقطوعة من جوانبها كَأَنَّهَا قِطْعَة. **الفروق اللغوية** للعسكري (ص: ١٩٧).

(١) **ينظر**: **المحيط في اللغة** –للصاحب بن عباد تـ ٣٨٥هـ(٧/ ١٥١) تحقيق: الشيخ محمد آل ياسين، الناشر: عالم الكتب– من دون. **(جزى)**.

الجزية والقضاء والتبديل، فللألفاظ شخوص في الذهن كما يقول ابن الأثير: "اعلم أنَّ الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظ الجزلة تُتَخَيَّل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذي رماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج [1]".

وكما ترى أنه قد بُلِغَتْ الذُّرْوَةُ في انتقاء اللفظ ووضعه الموضع الأمثل في القرآن الكريم، وهذه الألفاظ التي بها يحاجج المولى ﷻ بني إسرائيل ليردهم ويخبرهم بأنهم هم الظالمون لأنفسهم، عن طريق تذكِيرهم بالنعم التي أولاهم بها، مع النعم التي ستكون لهم إن آمنوا واتقوا.

ثم انظر إلى قوله ﷻ "**وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**" فلفظة (شفاعة) تلك، مع التنكير الذي ضمَّ كلَّ أنواع الشفاعات وعمَّها، وجاء بها على المصدر وهو الأصل لتدلل على أنه لا ثاني يومئِذٍ؛ وذلك ليعيدهم إلى أنفسهم فيرتدعوا، فالكلٌّ سيحاجج عن نفسه ولن يكون حينئذ شفيع يطاع إلا لمن أذن وهذا من النِّعَم، فقد أعلمهم بالمآل قبل أن يؤولوا إليه، ففي يَدِكُم يا بنو إسرائيل زمام الأمرين، وخاتمةُ كِلَا الطريقين واضحةُ المعالم.

ودلالة تلك اللفظة قد أشار إلى معناها وما ترمي إليه من معانٍ ابن فارس قائلًا:

" **شَفَعَ**: الشِّينُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ الشَّيْئَيْنِ،

---

(١) **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** – لضياء الدين بن الأثير ت ٦٣٧هـ(١/ ١٩٥) المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة– دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

مِنْ ذَلِكَ الشَّفْعُ خِلَافُ الْوَتْرِ، تقول: كان فردا فشفعته،... وشفع فلان لفلان، إذا جاء ثانِيَهُ، ملتمسًا مطلبه ومعينًا له[١] ".

وفي قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، فاستعمال (نجيناكم) دون (أنجيناكم)، أفاد أن بني إسرائيل قد قضوا مدة في العذاب والهوان، وأنهم قد عاشوا المهلكة حينا من الزمن ثم جاءت النجاة الإلهية، وفي الفرق بينهما يقول أبو هلال العسكري:

"الفرق بين الإنجاء والتنجية: كلاهما بمعنى التخليص من المهلكة، وفرق بعضهم بينهما فقال: الإنجاء: في الخلاص قبل الوقوع في المهلكة، والتنجية: يستعمل في الخلاص بعد الوقوع في المهلكة[٢]".

ويشير أبو إسحاق الثعالبي إلى أمرٍ آخر في لفظ (نجيناكم) فيقول:

"أصله: ألقيناكم على النّجاة، وهو ما ارتفع واتّسع من الأرض هذا هو الأصل، ثم سمّي كلّ فائز ناجيًا كأنّه خرج من الضيق والشدة الى الرخاء والراحة[٣]".

وأمّا في قوله ﷻ: ﴿يَسُومُونَكُم﴾، ترى فيها صورة ماشية ترعى في

---

(١) **ينظر: مقاييس اللغة**(٣/ ٢٠١).

(٢) **الفروق اللغوية** (٧٧).

(٣) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**- لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق تـ ٤٢٧هـ(١/ ١٩١) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ونظير الساعدي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

فضاء، وهناك راعٍ شاخصٍ عصاه يلوح بها، أو عبدٍ على رأسه سيدُه، وقد شُدَّ بالذي ينوء عن الحَمْلِ ظَهْرَه، وفوق ذلك مَرْعَاهُ أي مأكله ومشربه سوءُ العذاب، مع الهوان والخزي والعار، فالهوان في رعيهم بسوء العذاب، والخزي بتذبيح الأبناء، والعار في استحياء النساء.

فتلكم اللفظة ﴿**يَسُومُونَكُم**﴾ وما فيها من العلو والاغترار والسلطان، مع التكاليف الشاقة التي ترهق العقل والبنيان باستذكارها، فكيف هو الحال حين المعاش؟!، إنَّ تلك الكلمة تشع بالجبروت والسلطان مع الذل والهوان في آنٍ واحد، بل المفهوم منها يدعو إلى إعلان التنابذ والكراهية، وقد أشار إلى بعضٍ من دلالات اللفظ وما يرمي إليه من المعنى ابن دريد قائلًا:

"**سَوَمَ:** سُمْتُ الرجلَ أسومه سَوْماً، إذا كلّفته عملا أَو أجشمته أمرا يكرههُ، وسُمْتُه خَسْفاً، **وَأَكْثر مَا يُستعمل فِي الْمَكْرُوه**، وسامت الماشيةُ، إذا دخل بعضُها فِي بعض فِي الرَّعْي،... وسامَ الرجل ماشيتَه يسومها سَوْماً، إذا رعاها[1]".

فكونكم في هذه الحال المخزية وينجيكم الله ﷻ منها، ويجعل الأرض ميراثكم، بعد أن أغرق أمام أعينكم عدوكم، ولم يكن بالغرق الهيّن بل الماء وأنتم تنظرون بل وأنتم تعبرون عليه تحول طريقا وضفافه كل فرق كالطود العظيم، فأيُّ شيء أعظم من هذا الإعجاز.

---

(١) **ينظر: جمهرة اللغة** – لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي تـ ٣٢١هـ(٨٦٢/٢) المحقق: رمزي منير، بعلبكي– دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٩٨٧م.

وأمّا في استعمال (**الآل**) دون (**الأهل**) فلها من الدلائل الحجاجيّة ما يجعلها هي الأولى من غيرها، وذلك في قوله ﷻ: ﴿**ءَالَ فِرۡعَوۡنَ**﴾،

فالْعلاقة بَين (الْأَهْل والآل) علاقة عموم وخصوص؛ وذلك لأن (الآل) فرع من الأهل ففيها معنى الأصل وزيادة، لأن دلالة الفرع أقوى لأنها من طريقين الأصل والفرع ذاته، والآل كما أشار أبو هلال العسكري قائِلًا:

"**الْآل:** عيدَان الْخَيْمَة وأعمدتها، وَآل الرجل: مشبهون بذلك لأَنهم مُعْتَمَدَهُ، وَالَّذِي يرْتَفع فِي الصحاري آل؛ لِأَنَّهُ يرْتَفع كَمَا ترْتَفع عيدَان الْخَيْمَة(١)".

ففيها من المطمئنات التي تجعلهم يقرون بوحدانية الله –جل وعلا– فما من أحدٍ يقدر على فرعون إلا إله فرعون، ولم يُهلك فرعونَ بشخصه وكفى، بل كل الأعمدة التي كان يتكئُ عليها ويقوم بها سلطانه وجبروته، وليس هذا بخافٍ بل وأنتم تنظرون.

وهذا التذكير الإلهي بالنعم التي منَّ بها على بني إسرائيل، ليس إلا لتأكيد مداومتهم على العناد والجحود، فبعد أنْ نجاهم إلى البرِّ، ورأوا مهلكة فرعون ومن تبعه ومن اشتد بهم أزره، وكل ذلك من إرهاصات تحول البلاء إلى نعماء وإرثٍ للأرض، لكن.. إنهم بنو إسرائيل.

ثم يذكرهم ببشراهم التي جاءتهم ثانية، وهي مواعدة ربهم لرسولهم وقائدهم وما سيتبع تلك المواعدة من الرحمات والعطاءات، فكان لفظ

---

(١) **الفروق اللغوية** للعسكري(٢٨١).

﴿وَٰعَدۡنَآ﴾ هو الأدلّ على الغرض، للمعنى الذي يحمله من رجاء الخير أكثر من غيره، وفي ذلك يقول الصاحب بن عباد:

"وَعَدَه خَيْراً وشَرّاً... وأرْضٌ واعِدَةٌ وشَجَرٌ واعِدٌ: يُرْجى خَيْرُهُما[1]".

فهذه الألفاظ وما تحمله من دلالة حجاجية تفحم الخصم باليقين، وهذا التعداد للأنعم الإلهية التي نالها بنو إسرائيل، لم يكن بغرض إغرائهم لإتباع الدين الحق وفقط، ولكن لتأكيد الجحود الذي أَلَمَّ بهم وأحاطهم، فيذكرهم المولى ﷻ بحال آبائهم حين كان نبي الله موسى عليه السلام بين ظهرانيهم، فما لبث لملاقاة ربه حتى اتخذوا العجلَ.

وفي قوله ﷻ: ﴿ثُم عَفَوۡنَا عَنكُم﴾

أظن كائنًا من كان هو، يسمع على لسان رسول من رسل الله مباشرة، أنَّ الله ﷻ قد عفى عنه، وسيظل حاله هو الحال التي عليها، فإمَّا جنون يذهب العقل، لعدم القدرة على تحمل صدمة تلقي مثل هذا النوع من الخبر، أو سجودٌ إلى أنْ يتمَّ الأجلُ فرحًا بذاك العفو الإلهي.

ولم يكن المطلوب منهم محالًا، لكنه الشكر على هذه العطاءات وفقط!، **إلهٌ** هذه حاله معهم، عطاءاته حسيَّة يلمسونها بأنفسهم كل يوم، هذا حالهم ومعيشهم؟!، من السماء مأكلهم، ومن الحجر مشربهم، بينهم موسى بن عمران عليه السلام لنفسه الرحمن قد اصطنعه وعليه المحبة قد ألقى، وقوبل كل

(١) **المحيط في اللغة** (٢/ ١٢٨).

ذلك بعصيان وتمرد، فيا سبحان الله!.. والصلاة والسلام على رسل الله أجمعهم، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

ومن عجيب الحجج التي تدهش العقل، طريقة التذكير التي تسري في أوصال الكلام، وذلك عن طريق ﴿إِذْ﴾، أوّل كل جديد من النِّعَم، وله من الدلالات والاعتبارات الحجاجية ما ليس في غيره، فعند ذكْرِهِ تستدعي الماضي بذكرياته، وبمجرد سماعه تنتظر لتعرف، أيُّ الذكريات التي سيسلط هذا الحرف الضوء عليها؟!، ومن سماتِ تذكيره لك، أنَّ ذكرياتِه لا تكون صورًا مقطعة، بل عند سماعه تتأهب الذكريات الكاملة الحكاية؛ وذلك لأن حق هذا الحرف أن يضاف إلى جملة(١).

وليس هذا وكفى، بل إنّ الفعل بعد هذا الحرف لا يكون إلا واجبًا مثبتًا، ولذلك يجعلك تعيش حالة من الشعور موافقة لحالة أنت عليها، وستعتريك الدهشة من هذا التوافق بين حالك هذا الذي تحياه الآن، وأنه يوجد ما يطابقه في أقاصيص من سبق، وأنك لست بدعًا من الخلق؛ وذلك لأنّ ﴿إِذْ﴾ تستعمل عند إرادة التوافق بين ما سيُقال والحالة التي عليها المخاطَب، فكأنها استدلال بدليل على حالة مماثلة، ومن رشاقة هذا الحرف

(١) **يقول الجَوْهَري في صحاحه:** "**إذ:** كلمة تدل على ما مضَى من الزمان، وهو اسمٌ مبنيٌّ على السكون، وحقُّه أن يكون مضافاً إلى جملة". **تاج اللغة وصحاح العربية)**٢/ ٥٦١).

أنه إذا جاء حرف شرط ، فإنه لا يُجازى به[١].

ويضاف إلى ذلك موضعه في بناء الجملة، تراه الموضع الذي يجعله دومًا يجذب الانتباه والاهتمام فهو صدر الكلام، وحين تراه يتردد كثيرًا عند إرادة الانتقال من التذكير بنعمة إلى التذكير بنعمة أخرى، فكأن المراد هذا الأزيز الذي يبعثه هذا الحرف، والذي تَطِنُّ به الأذن، من ضجيج ازدحام الخواطر على أبواب الذكريات، منتظرةً أيَّتَهُنَّ سَتُسْتَدْعَى.

ويشير لفظ الأخذ إلى معنى الحبس، في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ﴾، وكأن في استعماله تمهيدًا إلى العفو بعد العقوبة، فالحبس يعقبه الحرية، وكأن المولى- سبحانه- يشير إلى أنه سيحدث عفو عما قريب لهؤلاء المأخوذين بالصاعقة، وأن مناط عملها مجرد حبسهم حينًا ثم الإفراج عنهم، وإلى معنى الحبس يقول المولى عز وجل:

﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ﴾[٢].

والمعنى أي: احبسوهم،

أو يكون بمعنى التعذيب، وهذا المعنى يدلُّ على ما في الأخذ من تعذيب وألم، فلم يكن بالهين أو الممكن تحمل تبعاته، ولم يكن موتهم الموت الذي يُستراح به من متاعب الحياة الدنيا، بل الموت المؤلم حال الإماتة

(١) **تاج اللغة وصحاح العربية**(٢/ ٥٦١).

(٢) **سورة التوبة**، من الآية رقم: ٥.

وبعدها إلى أنْ تفضل عليهم المولى عز وجل ببعثهم ثانيةً.

وإلى معنى التعذيب الذي يشير إليه لفظ (أخذ) يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ﴾(١)(٢).

فهذه المعاني التي يعطيها هذا اللفظ له من الدلالات الحجاجية التي تجعل البدن يقشعر من صعوبة هذا الأخذ، ويرمي إلى فظاعة الجرم الذي قد كان منهم، فالمعاني القائمة باللفظ والمتعلقة به تعطي صورا متعددة للعذاب الذي كان بطيات الأخذ حال وقوعه وبعده، فكان استعماله هو الاستعمال الأليق بالمقام، وهذه المعاني المتنوعة والمختلفة تتماشى مع التدرج الذي تبنى عليه العملية الحجاجية، وعلى ذلك: فإن اللفظ إذا ما استعمل في موضعه ومكانه الأليق به، ستراه حينئذٍ حياةً تمرُّ أمام عينيك بكل ما فيها من عبقَ، وهذا هو سحر البيان!.

وحين تريد التأمل في صورة من صور عنادهم وتهجمهم المطلق، فما عليك إلا أن تتأمل في لفظة ﴿جَهْرَة﴾ التي أخبر بها المولى ﷻ في كتابه

(١) **سورة غافر**، من الآية رقم: ٥.

(٢) **تأويل مشكل القرآن**–لابن قتيبة الدينوري تـ: ٢٧٦هـ(٢٧٢) المحقق: إبراهيم شمس الدين– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

العزيز حين قال: ﴿نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾، فتلك الجرأة و هذا التبجح عند طلبهم رؤية الله ﷻ عيانًا شاخِصا مُدْرَكًا، فكان هذا التتميم[1] في قوله: ﴿جَهۡرَةً﴾، فأعطى هذا اللفظ صورة تعتلي الوجه حين يكسوه الكبر والاغترار، مع وضوح الشك والبادي على أسلوب مطلبهم، وفي أصل معنى (الجَهْرِ) يقول ابن فارس:

"**جَهْرٌ**: الْجِيمُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ إِعْلَانُ الشَّيْءِ، وَكَشْفُهُ وَعُلُوُّهُ[2]".

وكان عاقبة هذا التبجح الأخذ بالصاعقة[3]، فتصاعدية الألفاظ التي تتنامى مع تنامي الحوار، تراها تخطف انتباهك بهذا التوازن الدقيق في عرض كل حجة، وما اتصل بها من أحداث تدلل على مؤشر الحال، وهكذا تتنوع العطاءات الإلهية لبني إسرائيل غير منكرين، لكنه الجحود الذي صار لهم نسبًا.

أمَّا اللفظ الذي جاء للدلالة على نعمة أجلّ وأعظم، وهي الإحياء بعد

---

(١) **التتميم**: وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به. **نقد الشعر**– لقدامة بن جعفر بن قدامة تـ: ٣٣٧هـ(٢٧٢) مطبعة الجوائب، قسطنطينية، الطبعة: الأولى– ١٣٠٢هـ.

(٢) **ينظر: مقاييس اللغة** (١/ ٤٨٧).

(٣) **الصَّاعِقَةُ**: الوَقْعُ الشَّديدُ من صوْتِ الرَّعْدِ، يسقُطُ معه قِطْعة من نار... والصَّعِقُ: المغْشِيُّ عليه، صعق صعقًا: غُشِي عليه من صَوْتٍ يسمعه أو حِسٍّ أو نحوه، وصعِق صعَقًا: مات. **العين**(١/ ١٢٩).

الموت، فاللفظ الدال على تلك النعمة جاء في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾، والبعث فِي كَلَام الْعَرَب على وَجْهَيْن:

أَحدهمَا: الْإِرْسَال؛ كَقَوْل الله تَعَالَى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾[1]. مَعْنَاهُ: أرسلنَا.

و**البَعْث الآخر:** إثارةُ بارِكٍ أَو قَاعد، تَقول: بعثت الْبَعِير فانبعث، أَي: أثرته فثار، وقال الأصمعيّ: رجل بَعِث: لَا يكَاد ينَام، وناقة بَعِثة: لَا تكَاد تَبْرُك[2].

وفي لفظ البعث ما يشعر أنه كان لشيء يخص المبعوث وليس الباعث، فما بعثهم إلا تفضلًا وإنعامًا عليهم، ولذا تراه أدعى من غيره للفروق اللطيفة التي هي بينه وبين غيره من الألفاظ التي تدل ذات المعنى[3].

---

(١) **سورة الْأَعْرَاف**، من الآية رقم: ١٠٣.

(٢) **ينظر: تهذيب اللغة** (٢/ ٢٠٢). (بَعَثَ، بتصرف)

(٣) الْفرق بَين **الْبَعْث والإرسال:** أَنه يجوز أَن يبْعَث الرجل إِلَى الآخر لحَاجَة تخصه دُونك وَدون الْمَبْعُوث إِلَيْهِ،... فَلَا تَقول: أَرْسلته ؛ لِأَن الْإِرْسَال لَا يكون إِلَّا برسالة وَمَا يجْرِي مجْرَاهَا.

أمّا الْفرق بَين **الْبَعْث والإنفاذ:** أَن الإنفاذ يكون حِمْلًا وَغير حمل والبعث لَا يكون حملا ، وَيسْتَعْمل فِي مَا يعقل لا مَا لَا يعقل، فَتَقول: بعثت فلَانا بكتابي، وَلَا يجوز أَن تَقول: بعثت كتابي إِلَيْك.

=

ثم تُختَتَمُ الآيات بما هو أنعم وأترف، تظليل الغمام، واختيار ﴿وَظَلَّلْنَا﴾؛ وذلك لأن الظلَّ يكون قبل الشمس، وكأن الغمام تبدأ عملها بتظليلهم قبل أن تطلع عليهم الشمس بحرها، وفيها من معاني الديمومة ورغد العيش[1] ما يمكن استنباطه من اللفظ، حتى يكون وقع ذكر النعمة أزجر عند التذكير بها إذا افتُقِدَتْ.

يقول ابن سيده المرسي في (محكمه الأعظم) مشيرًا إلى بعضٍ من دلالات لفظ (الظِّلّ)، وبعرض تلك المعاني تظهر الصورة المجسمة للفظ في العقل، من خلال النظر إلى اللفظ من وجوه متعددة، يقول :

"**الظِّلُّ**: نَقيضُ الضّحِّ، وبعضُهم يَجْعَلُ الظِّلَّ الفَيْءَ، وقيلَ الفَيْءُ: بالعَشِيّ، والظِّلُّ: بالغَداةِ، فالظِّلُّ ما كانَ قبل الشمس، والفَيْءُ: ما فاءَ بعدُ، وقالوا: ظِلُّ الجَنَّةِ، ولا يُقالُ: فَيْؤُها؛ لأن الشمسَ لا تُعاقِبُ ظِلَّها فيكون هُناكَ فَيْءٌ، إنما هي أبداً ظِلٌّ[2]".

=

وأمّا الْفرق بَين **الْبَعْث والنشور**: أَنَّ بَعْثَ الْخلق، اسْم لإخراجهم من قُبُورهم إِلَى الْموقف، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿**مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾، **والنشور**: اسْم لظُهُور المبعوثين. **الفروق اللغوية** للعسكري(٢٨٩).

(١) **قَالَ ابْن عَرَفَة**: "ظِلا ظَليلاً، أَي: دَائِما طَيِّبًا، يُقَال: إِنَّه لفي عَيْش ظَليلٍ، أَي: طيِّب". تهذيب اللغة (١٤/ ٢٥٩).

(٢) ينظر: **المحكم والمحيط الأعظم**- لأبي الحسن بن سيده المرسي تـ ٤٥٨هـ(١٠/ ٤) تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

وإذا ما توجهت لاستنباط غاية حجاجية من وراء استعمال اللفظ، سترى قسمات النعيم المطلق والتفضيل الذي أعطاه الله ﷻ لبني إسرائيل واضحة، بل ويُحسدون على ما أوتوا وأعطوا.

واستكمالًا للنعم التي أُمْطِرَت بها بني إسرائيل تلك التي أشارت إلى طيب الرزق، فلم يكن رزقا عاديا، وإنّما يقول الله ﷻ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، وليس بشاذ أن يجول البحث في دلالات لفظ (طيب) دون الرجوع إلى المعاجم؛ وذلك لأن شهرة اللفظ، وكثرة دورانه، ورشاقته تجعل معناه قريبًا من القلوب.

فحين ترى لفظ (طيب) وما اشتق منه في الموضع الذي هو فيه، ترى أنه يعطي المعنى المراد، والمدلول المقصود دون كدِّ عناء وجهد من العقل، حين إقامة العلاقة بين اللفظ ومرماه ومضمونه، فهذا كلام طيب، غير هذا الطعام طيب، غير إنَّ المكانَ هذا طيب، وفلان عالي الأخلاق طيب، وتلك الوردة عطرها طيب، وهذا الطيب طيب.

ففي كل تلك الأمثلة ترى الطِّيبَ يتعدد ويتنوع ويُعطي مضامين ومفاهيم عامة تستوعب الحدث، وكأن بني إسرائيل قائمون في رياض وحدائق غنّاء، ما عليهم إلا أن يفاضلوا بين الطيبات أمامهم.

وعلى تنوع الرزق يتنوع مدلول لفظ (طيبات)، فالرزق السمعي يختلف عن الرزق البصري، وكذلك الشم يختلف عن التذوق، وكذلك الأحاسيس والمشاعر والأمور المعنوية التي تجول بالوجدان، أرزاق كلها وفيها يجري الطيب، ولذا كان عاقبة أمرهم كما قال الله ﷻ:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

فأقام الله ﷻ عليهم الحجج والبراهين من دلالة اللفظ؛ وذلك لأن اللفظ استعمل فيما وضع له، وما الألفاظ التي غضَّ البحث طرفه عنها بأقل أهميةٍ عن تلكم التي وُضِّح عن بعضٍ من المراد منها.

وإذا ما قلَّبت ألفاظ القرآن الكريم على أوجهٍ عدَّةٍ، سترى لكل وجه من تلك الوجوه غير متناهية التعدد، غرضًا ومعنًا وتوجيها ودلالة جديدة بتجدد التكرار، وعن طريق الدمج بين هذه الوجوه المتعددة للفظ، يمكنك استنباط وجوه أخرى متعددة، ولن يتأتَّى ذلك إلّا إذا استعمل اللفظُ الاستعمالُ الأمْثلَ للغرض المحدد، وهذا ما لن تجدَه إلا في آيَ القرآن الكريم وفقط.. لأن مراعاة كل تلك الوجوه تحتاج إلى إعجاز؛ و**القرآن الكريم** هو المعجزة ليس غير.

ومن جهة تناسب الألفاظ والأسلوب الأمثل:

إن البلاغة الحجاجية تنظر إلى الغاية من وراء بناء الكلام على الحال التي هو عليها، فهي تنظر إلى النص اللغوي بنظرة وظيفية، وكذلك القواعد البلاغية التي سنَّها العلماء العرب، فما وُضَعت إلا لغاية وظيفية، وسيتضح بالتحليل البلاغي للقاعدة التي سار عليها النص، مدى تأثيرها في العملية الحجاجية.

استهل ﷻ النظم بالنداء في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، والاستهلال بالإنشاء بدايةً أشعر القصد؛ لأن إنشاء الجملة على طريقة مخصوصة يبين غرضًا من الأغراض التي سيكون عليها الكلام، ويشير العلامة سعد الدين التفتازاني إلى الغرض من مجيء الكلام في صورة الإنشاء، فقسم الإنشاء أولًا إلى قسمين:

أحدهما: أنه يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه، فلا يحتاج إلى تصديق أو تكذيب.

الآخر: أنه يقال على فعل المتكلم، ومعناه إلقاؤه الكلام في صورة الإنشاء كما يلقيه في صورة الإخبار.

وعلى المراد من إيراد الكلام في صورة الإنشاء، فإن العلامة التفتازاني أشار إلى أنَّ المراد هو النوع الثاني، ويشير إلى أول معنى من معاني الإنشاء، فيقول:

"قسّم الطلب إلى التمني، والاستفهام، وغيرهما، وأراد بها معانيها المصدرية، لا الكلام المشتمل عليها، بقرينة قوله: واللفظ الموضوع له كذا وكذا؛ لظهور أنّ (لَيْتَ) مثلًا: موضوع لإفادة معنى التمني، لا الكلام الذي

فيه التمني، وكذا البواقي[1]".

ومفهوم هذا أن **(يَا)** التي استعملت في الاستهلال موضوعة لإفادة معنى النداء، فكأن المراد من النداء الإقبال على حقيقته وليس مجرد التنبيه، وكأن الله ينادي على كل أبناء إسرائيل إلى قيام الساعة، هذه النعم كانت لكم خاصة وليس لغيركم، فكما ينادي عليك مناد قاصد بندائه إقبالك، حتما ستقبل عليه لأنك علمت من قرارة نفسك أنك المقصود، وذلك لأن نداءه كان مشفوعا بدليل تخصيصك دون غيرك، يا ابن فلان[2].

وفيه إشعار بالبعد الكائن بين المخاطِب والمخاطَب، أيًّا كان توجيه هذا البعد، وإنما هو موجود تستشعره كل حين، وهذا البعد أشاعه هذا اللفظ (الياء)، حتى وإنْ استعملت للقريب والبعيد، لكن المدَّ بنهايتها يشعرك دومًا بتباعد بين طرفي الحوار.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

---

(١) **ينظر: المطول**، شرح تلخيص مفتاح العلوم(٤٠٧).

(٢) **يقول الرُّماني:** "حُقق الاختصاص بهذا الأمر، ونظيره قولك لمن هو مقبل عليك، قريب منك، منصت لك: يا أبا فلان، فهذا تحقيق لتوجيه الخطاب إليه؛ لئلا يتوهم أنه يدخل في الخطاب غيره ممن حضر". **شرح كتاب سيبويه** – لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني تـ ٣٨٤هـ(٢٢١) تحقيق: د/ سيف بن عبد الرحمن العريفي– جامعة: الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية–١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

وقد جاءت في الأسلوب الأمثل الكناية[١]، والتي كنّى بها الله عن اليهود بذكر نسبتهم إلى أبيهم الأول، وتلك كناية عن موصوف، ومضمونها أنّ أسباطهم المتعددة جميعًا ينتهون إلى أبٍ واحد وهو إسرائيل (يعقوب) عليه السلام كما أشير سابقًا، أو من جهة أخرى وهو أنكم متخذون سَنَنَ من كان قبلكم من أبناء إسرائيل من الجحود والعناد، وتدليلًا على قساوة القلب التي لحقت من سبقكم أنها قد لحقتكم، ولازلتم متبعين المنهج الذي انتهجه من كان قبلكم من إنكار للنعم، وجحود للمنن والعطايا، مع إخباركم بمآلهم وجزائهم.

وفي الفصل بين جملة النداء وبين جملة ﴿**ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ**﴾، حيث وقعت الجملة الثانية بيانًا للجملة الأولى، فجملة ﴿**ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ**﴾، هي المبينة للعلة من النداء عليهم، وفي هذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:

"اعلم أنه كما كان من الأسماءِ ما يَصِلهُ معناهُ بالاسم قبلَه، فيستغني بصلة له عن واصلٍ يصلُه ورابطٍ يربطُه، وذلك كالصِّفِة التي لا تحتاجُ في اتِّصالِها بالموصوفِ إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يَفتقِرُ كذلك

---

(١) **يقول عبد القاهر الجرجاني:** "اعلم أنَّ سبيلك أَولاً أَنْ تَعْلَم أنْ ليستِ المزيةُ التي تُثْبتها لهذه الأجناس عَلَى الكلام المتروكِ على ظاهرِه، والمبالغةُ التي تدَّعى لها في أنفسِ المعاني التي يَقْصِدُ المتكلمُ إليها بخَبَره، ولكنها في طريق إثباتهِ لها وتقريرِه إياها". **دلائل الإعجاز** (٧١).

إلى ما يصلُه بالمؤكَّد، كذلك يكونُ في الجملِ ما تتصلُ من ذاتِ نفسها بالتي قَبلها، وتَستغني بربطِ معناها لها عن حَرْفِ عطفٍ يربُطها، وهي كلُّ جملةٍ كانت مؤكِّدةً للتي قبلها ومبيِّنةً لها، وكانت إذا حُصِّلتْ لم تكن شيئاً سِواها، كما لا تكونُ الصفةُ غيرَ الموصوفِ، والتأكيدُ غيرَ المؤكد[1]".

ففصل بين جملة ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، وجملة ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ لأن الجملة الثانية مبيِّنة للجملة الأولى، فحتى لا يتبرموا من النِّعم التي أنعموا بها أُعلِنَ عنها، ومن كرم المتفضِّل أن يعلن للمتفضَّل عليه إذا استعمل هذا التفضيل في الفساد أو الضرر، أن يذكِّرَه بأنه صاحب الفضل، وهذا التفضيل عطية من العطايا.

وهذه المعطيات الحجاجية التي يذكرها المولى ﷻ، والتي سيتتابع تفصيلها حتى الوصول إلى نتيجة غايتها أن الله ﷻ لم يظلم بني إسرائيل، ولكنهم هم من ظلموا أنفسهم، وذلك من خلال تدرج الحجج في سُلَّمِها الحجاجي، فكلُّ نعمة هي أجلُّ من أختها، وكل منزلة تفضيلية بها قد فضلّوا أرقى من سابقتها، وما هذا إلَّا لبيان أنهم قد طبع على قلوبهم فاستحقوا اللعن والذل والغضب.

وفي تعريف النعمة بالاسم الموصول ﴿ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ﴾؛ لكي يُعلِم المخاطَب بأنه محكوم عليه بحكم قد حصل له عن طريق هذا الاسم الموصول؛ لأن المقام الصالح للتعريف بالموصولية كما أشار العلامة

---

(١) **دلائل الإعجاز** (٢٢٧).

سعد الدين التفتازني، هو أن يصح إحضار الشيء بواسطة جملة معلومة الانتساب، إلى مشارٍ إليه بحسب الذهن(١).

وهذا معناه أنه بمجرد إعادة ذكر النعم على مسامع بني إسرائيل لا يستطيعون إنكارها؛ لأن حكمها قد حصل وأخبروا به، وما هذا إلا تذكير لعلَّه يجدي نفعًا، وعن طريق التذكير بتلك النعم، ينتقل المولى ﷻ لإثبات قضية أخرى وهي قضية التفضيل على العالمين، في قوله ﷻ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

فإقرار التلازم بين القول الحجة ونتيجته(٢) يفرض ربط الحجة المستعملة بالنتيجة المقصودة سواء كانت صريحة أو ضمنية تتلمسها في سياق الخطاب، ومنها تنطلق السلالم الحجاجية التي تنص على أن بناء الحجج في حالة الإيجاب يجعل تراتب الحجج تصاعديًّا، أي أنَّ كل حجة ستكون أقوى من سابقتها ليترقى الأسلوب معها.

فتراتُبِيَّة الحجج ستظهر أنَّ كل حجَّة ما فوقها أعجب منها وأدهش، وكل تفضُّلٍ ما فوقه أفضل منه وأعظم، وفي الوصل بين الجملتين عن

---

(١) يقول سعد الدين التفتازاني: "والمقام الصالح للموصولية هو: أن يصح إحضار الشيء بواسطة جملة معلوم الانتساب إلى مشار إليه بحسب الذهن؛ لأنَّ وضع الموصول على أنْ يطلقه المتكلم على ما يعتقد أنّ المخاطَب يعرف بكوْنه محكومًا عليه بحكم حاصلٍ له؛ فلذا كانت الموصولات من المعارف". **ينظر: المطول** (٢١٨).

(٢) **ينظر: الاستدلال الحجاجي** وآليات اشتغاله– المؤلف: د/ رضوان الرقبي(٩٣) مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد: ٢، مجلد: ٤٠، عام النشر: ديسمبر ٢٠١١م. (بتصرف)

طريق (الواو) دلالة حجاجية وهي أن طريق إلجام الخصم بالأدلة الساطعة سيتخذ مسارين:

أحدهما: إظهارٌ للنعم.

والثاني: توضيحُ التفضيلات.

ثم يصل المولى ﷻ الكلام بالـ (واو) قائلًا:

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾، ففي الجمع بين هذه الجملة وسابقتها أمرٌ فوق مجرد الجمع بينهما، وفي هذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:

"إن الذي يوجِبُه النظرُ والتأملُ أنْ يقال في ذلك: إنَّا وإنْ كنَّا إذا قلنا: "زيد قائم وعمرو قاعد"، فإنا لا نرى ههنا حكماً نزعمُ أنَّ "الواو" جاءتْ للجمعِ بين الجملتين فيه، فإنا نرى أمراً آخرَ نحصُلُ معه على معنى الجمعِ[1]".

والمعنى الذي هو فوق الجمع بين الجملتين، فكأن هذا الوصل قد وُجِدَ ليرد على عقيدة تملكت من قلب ونفس المخاطَب، فقد اعْتقدت اليهود بأنَّ نسبتهم إلى أنبياء الله – عليهم السلام – ستكون شفاعة لهم يوم القيامة[2]،

---

(١) **دلائل الإعجاز**(٢٢٤).

(٢) **يقول الزمخشري:** "كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا" =

فاستُهِل بنسبهم إلى إسرائيل عليه السلام؛ لأن هذا النسب من مفاخرهم وسبب للتفضيل، ثم جمع مع هذا النسب الذي يظنون أنه الوقاية والحماية يوم القيامة ما يهدِمُ معتقدهم هذا(١).

والالتفات(٢) من حالة التكلم والتذكيرٍ بالنعم والتفضيل، متحول بالكلام إلى المخاطب عن طريق فعل الأمر، ﴿**وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا**﴾(٣)، فهذا الالتفات يشْعِر وكأن هذه المِنَن قد انتُهِكَت وأُسيء استعمالها أيَّما إساءة، ثم يسند الفعل **(وَٱتَّقُوا)** إلى **(يَوۡمًا)** إسنادًا عقليا علاقته الزمانية، أي أنَّ الزمان

=

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل– للزمخشري جار الله تـ ٥٣٨هـ(١/ ١٣٦) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٠٧هـ.

(١) **يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:** "اعلمْ أنه كما يجبُ أن يكونَ المحدَّثُ عنه في إحدى الجملتين بسببٍ من المحدَّثِ عنه في الأخرى". **دلائل الإعجاز** (٢٢٥).

(٢) **الالتفات هو:** "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر". **البديع في البديع لابن المعتز** (ص: ١٥٢)، لأبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الأولى، عام النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٣) **يقول فخر الدين الرازي** في تفسيره: "هَذِهِ الْجُمْلَةُ مَنْصُوبَةُ الْمَحَلِّ صِفَةٌ لِيَوْمًا، فَإِنْ قِيلَ: فَأَيْنَ الْعَائِدُ مِنْهَا إِلَى الْمَوْصُوفِ؟ قُلْنَا: هُوَ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ لَا تُجْزِي فِيهِ وَمَعْنَى التَّنْكِيرِ أَنَّ نَفْسًا مِنَ الْأَنْفُسِ لَا تُجْزِي عَنْ نَفْسٍ غَيْرِهَا شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ الْإِقْنَاطُ الْكُلِّيُّ الْقَطَّاعُ لِلْمَطَامِعِ. **مفاتيح الغيب** أو التفسير الكبير– للرازي تـ ٦٠٦هـ(٣/ ٤٩٥) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤٢٠هـ.

وكما هو الطبيعي سريعًا ما يمرُّ، فاصنعوا شيئا يكون لكم وقاية من الأهوال التي ستكون في ذلك اليوم، وقد أخبر آباؤكم من قبل وتركوا الخبر فيكم وصية وإرثًا، لا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون.

ثم بدأ المولى ﷻ يحدد ملامح هذا اليوم، حتى يقيموا له صورة في أذهانهم تجعلهم يرتدعون، ففصل بين الجملتين جملة ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾ وجملة ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾، والداعي إلى الفصل كمال الاتصال[1]، حيث وقعت الجملة الثانية نعتًا للجملة الأولى بينت فحواها ومضمونها، وكأن المولى سبحانه وتعالى يبين لهم الأهوال التي ستكون في هذا اليوم، فجاءت النعوت المتعددة لتوضيح تلك الأهوال، ففصل بين الجملتين وسلك باللطف معهم المسْلك الذي يَسْلُكُونه[2]، فأشار إلى العظائم التي ستحدث في هذا اليوم ليكون وقع الحجة أقوى، وحتى لا يمكن ردَّها بحجة مضادة.

فإذا ما تأملت في الطرف الآخر من الحوار لن ترى له الصدى أو التأثير في مجريات العملية الحجاجية، وترى في حجبه وإبهام محاجاته ما يشير إلى الاقتناع التام بما يُعرض عليه من قضايا، وتسليمه لكل حجة تعرض لوجود الأدلة على تأكيدها.

وكأنما يشير إلى استتار الطرف الآخر من المحاجاة، وذلك لعلمه بأن

---

(١) **ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة** ضمن البغية (٢/ ٢٩١).

(٢) **دلائل الإعجاز** (٢٤٠).

كل حجة سيحتج بها، ستتخذ ركيزة لحجة مضادة تقلب سلم الحجاج، ومِنْ ثمَّ سيضطر إلى إيجاد حجج أقوى لنقض حججِه التي صارت حججا مضادة، وعلى ذلك الدرب حتى يقر بالتسليم، فأبهمت أجوبته لأن آخر نتائجها هو التسليم.

فإن المسار الذي يسير عليه الحوار داخل العملية الحجاجية، يتم عن طريق تناوب الأطراف المتداخلة في العملية، وذلك لأن أدوار الكلام هو التجسيد للصفة الحجاجية، التي تدل على أن الأطراف المتحاورة معنيان بما يجري، واشتراكهما يعني التفاوض حول المسافة الفاصلة بينهما، وذلك لأن كل مفاوضة هي استدلال يتوخى الإقناع، إن الحوار في المحاجاة يتم عبر تناوب المتحاججين على أدوار الكلام، وهذا التناوب يؤشر عليه استعمال مادة (قال) وما يقتضي استعمالها، وكما تراها مستعملة باستمرار.

وكذلك ما في الجمع مع التفريق مما يزيد من أهوال هذا اليوم، فقد جمع الأحداث جميعها في قوله: "**يَوْمًا**"، ثمّ بدأ يفصل تلك الأحداث ليكون الحرص على تقواه أشدّ، والتذكير به أجدى وأنفع، وعن طريق الفصل بين الجمل، ووقوع كل جملةٍ متمِّمَةً لمعنى الجملة التي سبقتها، يقول ﷻ:

﴿**لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا**﴾.

وقانون السلم الحجاجي في حالة النفي يخالف حالة الإثبات، وتكون أول الحجج أقواها ويرتبط بها ما بعدها، فنفيه ﷻ جزاء النفس مكان النفس، ترتب عليه أن الشفاعة والفدية بالتبعية منفيتان، ثم جاء بالفعل (**تَجۡزِي**) مضارعًا ليدل أن هذا الأمر متجدد بتجدد أنواع الجزاء، ومستمر باستمرار

المساءلة والحساب.

أمَّا قوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا﴾، فقد أشار الزمخشري[1] إلى أنها تحتمل معنيين:

أولهما: أنها مفعول به، أي أن الجزية لو كانت شيئًا من جنس الأشياء لن تقبل.

وثانيهما: أن تكون مصدرًا، وعلى هذا يكون المعنى، لن تجزي النفس الشافعة عن النفس المشفوع لها، ولو جزءًا يسيرًا من الشفاعة.

وكل ذلك لتدعيم المقدمة وهي نفي الوساطة من أحد لأحد، وكل هذه الشواهد والإحصاءات والقيَم، لكي تكون المقدمات والتبريرات أقوى تأثيرًا عند المستقبل.

﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾

وفي الإتيان بحرف المضارعة بـ (الياء) دون (التاء)، (يُقْبَلُ) وليس (تُقْبَلُ) وجه حجاجي، وهو حين جاء بـ (الياء) فقد جوّز عود الضمير على النّفْسَيْن، الشافعة والمستشفعة، وفي هذا المعنى يقول الإمام الرازي:

"اعْلَمْ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: (وَلا يُقْبَلُ مِنْها) رَاجِعٌ إِلَى النَّفْسِ الثَّانِيَةِ الْعَاصِيَةِ، وَهِيَ الَّتِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ، وَمَعْنَى لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ أَنَّهَا إِنْ

(١) **يقول الزمخشري:** "لا تَجْزِي لا تقضى عنها شيئا من الحقوق... وشَيْئاً مفعول به ، ويجوز أن يكون في موضع مصدر، أي: قليلا من الجزاء". **الكشاف** (١/ ١٣٥).

جَاءَتْ بِشَفَاعَةِ شَفِيعٍ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى النَّفْسِ الْأُولَى، عَلَى أَنَّهَا لَوْ شَفَعَتْ لَهَا لَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهَا كَمَا لَا تُجْزِي عَنْهَا شَيْئًا[١]".

وسرٌّ آخر من أسرار استعمال (الياء) دون (التاء) فتعلق استعمال حرف (التاء) في الفعل المضارع بالتأنيث يشير إلى أن المقصود هي الشفاعة في ذاتها، وإنما في استعمال (الياء) ما يشير إلى أنَّ المقصود هو الجزاء ذاته وما يترتب عليه من شفاعة فضم الشيئين، أما استعمال (التاء) فسيحدد الوِجْهة التي يكون عليها التفكير، بخلاف (الياء) التي أبانت عن عموم المراد.

ثمَّ بناء الفعل (يُقْبَلُ) للمجهول حتى ينكِّر فاعل الجزية، أي أنه مهما كان شأنه أو صلة قرابته، فلن يُقبل له من جنس الشفاعة شيئًا، وبذلك يكون قطع على بني إسرائيل أي موضع تفاضل، ونفى أن يكون للنسب صلة في النجاة من هذا اليوم؛ ولذلك كان الاستهلال بالأمر بالتقوى، وهذه التحفظات ما كانت إلا لتقطع يقين بني إسرائيل ومعتقدهم، بيقين آخر مضاد له فالاحتجاج بهذه الحجة أقوى، وقانون القلب الذي أشار إليه (ديكرو) ينص على أنَّ:

"هذا القانون مبني على قانون النفي، ولكن الفرق بينهما أن قانون النفي يتعلق بالحجة مفردة، أمّا قانون القلب يتعلق بالفئة الحجاجية بكل حججها[٢]".

---

(١) **مفاتيح الغيب** أو التفسير الكبير (٣/ ٤٩٥).

(٢) **ينظر: من أنماط الحجاج في علم المعاني**- تأليف: دكتور/ على فتح الله أحمد =

وبذلك يكون قد عُكِسَ ترتيب السلَّم الحجاجي، لتصبح كل الحجج التي تثبت نتيجة محددة، ، يتم عكس ترتيب أماكنها في السلم الحجاجي في حالة النفي، ويكون ما بعدها تفريع عنها.

فحين تكون النتيجة ضمنية وقادمة عن طريق الاستنتاج، فهذا يلزم المتلقي بأن يستخرج من النص المعلومات الكافية لاستنباط هذه النتيجة الضمنية، وذلك لأن قيمة الحجة تحدد بما تحدثه من تناقض، وكل حجة لها قيمة في النتيجة، يقابلها حجة مضادة لنتيجة معاكسة بنفس القيمة والمقدار [١].

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

فوصل الكلام في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يُؤْخَذُ** ﴾، حتى يقطع على النفس هواجسها التي من الممكن أنْ تراودها، وتقول لعل الفدية هي التي تُقْبل، فعن طريق (الواو) يصل الجملة بما سبقتها، وذلك للتوسط بين حالة الانقطاع وحال الاتصال، حيث اتفقت الجملتان إنشاءً، ولم يتفقا في المعنى.

ثم يُسْتَعْملُ (العدل) للفدية، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والاستعارة من أهم الأدوات المؤثرة في إقامة العلاقة الحجاجية[٢]، لأنها

=

محمد(١٣٩٠) مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، من دون.

(١) **النظرية الحجاجية**(١١٠). (بتصرف)

(٢) **ينظر: أنواع الحجاج ومقوماته**، من بلاغة أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة(١٧٣).

انتقال من اللازم إلى الملزوم كما أشار السكاكي[١]، ثم ينتقل المولى ﷻ إلى تعداد النِّعم، ومعها مراتب التفضيل التي قد فُضِّلوا بها، ثم بعد ذلك إلى أي شيء قد آلوا، فيقول ﷻ:

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

ولبيان الذل والهوان الذي أحاط بني إسرائيل، استعيرت لفظة (يسومونكم) في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ لتدلَّ على الحالة التي كانوا عليها، كما الماشية وفي أحقر الوظائف، وفوق ذلك العذاب الأليم، فعلى سبيل الاستعارة التبعية في الفعل (يسومونكم)، ثم بناء المجاز العقلي على هذا المجاز اللغوي، وإسناده إلى (سوء العذاب) إسنادًا عقليًا، كان من شأنه أنْ زاد اللطف الذي يحتاج إلى قدر عالٍ من التأمل من قِبَلِ بني إسرائيل.

وذلك بأن البيان الإلهي قد جاء على طريقة الاستعارة أولًا في الفعل (يسومونكم) ليبين الحال التي كانوا عليها زمن فرعون من الذلة والهوان، ومعها معنى المبالغة في بيان الصورة المرادة، وكأنهم ماشية في مرعى ولم

(١) أشار السكاكي إلى هذا المعنى قائلًا: "وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية، وهي الانتقال من معنى على معنى بسبب علاقة بينهما، كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني". **مفتاح العلوم** (٣٣٠).

يكن مرتعهم بالمرتع الذي يغني ويسمن، بل كان مرعاهم سوء العذاب، وكأن الاستعارة قد جاءت تمهيدًا لهذا المجاز العقلي؛ ليكون البيان أبلغ في صدورهم وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني:

"اعلمْ أنَّ مِن سبَب اللطفِ في ذلك، أنَّه ليس كلُّ شيء يَصْلُح ؛لأن يُتعاطى فيه هذا المجازُ الحُكْمي بسهولةٍ، بل تَجدُك في كثيرٍ من الأمر، وأنتَ تحتاجُ إلى أن تُهيِّئَ الشيءَ وتصلِحَه لذلك، بشيءٍ تتوخاه في النظْم[1]".

وقد استُعْمِل الأسلوب الأنفع؛ لأن المجيء بالمجاز العقلي في الكلام[2]، سيضيف طرقًا جديدة بها يتسع المفهوم، ويمكِّن العقل من صناعة صورة متعددة الجهات؛ وذلك لتفصيل ما يرمي إليه هذا المجاز العقلي، فكلَّما تأملت هذا المجاز العقلي ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ تراه يعطيك من التصورات التي تدعوا إلى الألم والمشَقَّة، وذلك لأن المجاز العقلي يجعل مرامي الكلام بعيدة، لكن قريبة من الأفهام سهلة الاستحضار[3].

---

(١) **دلائل الإعجاز**(٢٩٨).

(٢) وذلك لأن المرجع كما يقول الجرجاني: "المرجع فيه والوجهُ إلى العقل المحض وليس للغة فيه حظٌّ،... لأن قضايا العقول هي القواعدُ والأُسُس التي يُبنى غيرها عليها، والأصولُ التي يُرَدُّ ما سواها إليها". **أسرار البلاغة**(٣٧٣).

(٣) **يقول عبد القاهر الجرجاني**: "هذا الضربُ منَ المجاز على حدَّته كنزٌ من كنوزِ البلاغةِ، ومادَّةُ الشاعرِ المُفْلِق والكاتبِ البليغِ في الإبداع والإحسانِ، والاتِّساع في طرقِ =

ثم جاء النظم بالفصل بين جملة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ وجملة ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾؛ وداعي الفصل كمال الاتصال بين الجملتين، حيث وقعت الجملة الثانية بدل بعض من الجملة الأولى، وترْكُ العاطف بين الجملتين كما يقول السكاكي:

"محكُّ البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومضمار النظار، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، ومسبار غور الخاطر، ومنجم صوابه وخطأِه، ومعجم جلائه وصدائه(١)".

وكأن المولى ﷻ يبين لليهود الذين يُحاجُّون رسول الله ﷺ كيف كان الحال وفرعون يسوم أباءهم سوء العذاب؟، وابتدأ بذكر الأشد على القلوب والأقسى وهو تذبيح الأبناء، وعطف عليه بالأخْزَى وهو استحياء النساء، ووجب العطف في الثانية حتى لا يكون رجوعًا عن الأولى، فأشركهما في حكم واحد لتتضح الكيفية التي كان عليها السوم الذي يسومهم به فرعون كاملة.

أمّا الربط (بالواو) بين الجمل الذي أصبح عنصرًا أساسيًا في تحديد المعنى الحجاجي، وهو الذي يجعل العلاقة بين المقدمة والنتيجة منطقية ومقبولة، فكان من شأن الجمع بين التذبيح والاستحياء في حكم واحد، أنْ

=

البيان، وأنْ يجيءَ بالكلام مَطبوعاً مصنوعاً، وأن يضَعه بَعيدَ المرامِ، قريباً منَ الأفهامِ". **دلائل الإعجاز**(٢٩٥).

(١) **مفتاح العلوم**(٢٤٩).

جعل تصورهما في العقل واحدًا، وهذا التصور يزيد من الذلة والهوان الذي كانوا عليه، ويبعث على كل أنواع البؤس والشقاء باستحضار الصورة التي كانوا عليه حينئذ، وذلك لإظهار أن نعمة النجاة من تحت وطأة فرعون وحدها تستدعي الإذعان المطلق لله سبحانه وتعالى والمسند إليه هذه التنجية.

فوظيفة الحجاج كما أشار (باتريك شارودو) تهدف إلى التمكين من بناء تفسيرات على الأقوال التي تعالج معرفة ما، وذلك عن طريق الاستدلال والاقناع، وعلى ذلك فقد قسم هذه العملية في العقل إلى نوعين، وهما:

العقل الاستدلالي: وينهض على آلية تتصل أساسا بإقامة روابط سببية مختلفة – والسببية هنا بمعنى الواسع – بين قولين أو عدة أقوال، وهذه الروابط تقوم من خلال أساليب هي شاهدة على ما تسميه: "انتظام المنطق الحجاجي" والذي تتعلق مكوناته في الوقت نفسه (بالمعنى)، الذي تتضمنه هذه الأقوال.

أمّا العقل الإقناعي: فينهض على آلية تتصل أساسا بإقامة (الدليل) بواسطة الحجج التي تبرر الأخبار، والروابط السببية التي تُصْهِر الأقوال فيما بينها، وترتبط هذا الآلية خاصة بأساليب الإخراج القولي للفاعل المحاجج، لذلك تسعى في تواز مع أشكال الخطاب الأخرى[1].

وكذلك طبيعة تلك المحاجاة التي تأتي بالدليل، ومعها كل الوسائل المقنعة لردع الطرف الآخر من المحاورة، لكنها الفطرة التي فطر عليها بني

(١) **الحجاج بين النظرية والأسلوب**(١٧). (بتصرف)

إسرائيل من عهد موسى عليه السلام.

وأمّا عن التفضيل الإلهي الذي قد فضل الله ﷻ به بني إسرائيل ففي قوله:

﴿ وَإِذ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

فإن مهلكة فرعون أمام أعينهم لهو التفضيل الذي قد فضّلوا به بعد نعمة نجاتهم من فرعون، وكانت هلكته أوقع من جهتين:

الجهة الأولى: تيقن النجاة وشفاء غليل الصدور.

الجهة الثانية: هذا فرعون على ما به من تكبر وطغيان وسلطان وسطوة، قد أُهلك أمام أعينكم، وهذا قدر ضئيل من القدرة الإلهية، فرؤيتكم إياه في اليم غريقًا، أزجر لكم لئلا تتمردوا وتعصوا أمر ربكم.

ثم يذكرهم بنعمةٍ هي أجَلّ، وتشريف هو الأعلى حينما واعد المولى ﷻ سيدنا موسى عليه السلام، فتلك منَّة لكن قوبلت بما ختمت به الآية، فيقول ﷻ:

﴿وَإِذ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾.

فكل تلك الحجج التي بها يبرهن المولى ﷻ على العطاء الجزيل الذي أنعم به على بني إسرائيل قوبلت جميعها بالكبر والعناد، وتتعدد العطاءات، وإقرارا بالظلم البيّن الواضح، ففي قوله ﷻ: ﴿وَإِذ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ

﴿لَيْلَةً﴾، إن تحديد الوقت له دلالته الحجاجية، أي: أنكم قد تعجلتم الإشراك، وهذا التحديد من التحفظات التي ستبنى عليها النتيجة النهائية لتلك المحاجاة.

﴿إِذْ﴾، وهذا الرابط الذي يضع كل حجة فوق نظيرتها، وكأنما الحجة لَبِنَةٌ في بنيان العملية الإقناعية، وكأن هذا الحرف يختزل بطياته الزمن، ويجعلك تُعايش الحدث بل وتتفاعل مع التفاصيل التي تتضح حين عرض القضية، فهذا الحرف على رشاقته – ما هو إلّا حركة وسكون –، لكنه يعيد حياةً كاملة تمرُّ بالخاطر، تتلمس خطاها بوجدانك، وما هو إلا حينٍ يسير حتى تشتم عبير تلك الحياة التي ولدت ونمت في الخاطر، فعلى صِغَر بناء هذا الحرف لكنه يقطع الزمن وكأنه لم يكن هناك زمن بين الحالين، حال الحدث وحال الإخبار والتذكير به.

وتستعمل ﴿إِذْ﴾ عند إرادة التوافق بين ما سيُقال والحالة التي عليها المخاطَب، فكأنها استدلال بدليل على حالة مماثلة، ومن رشاقته أنه إذا جاء حرف شرط فإنه لا يُجازى به[1]، وليس هذا وكفى، بل إنّ الفعل بعد هذا الحرف لا يكون إلا واجبًا مثبتًا، ولذلك يجعلك تعيش حالة من الشعور موافقة لحالة أنت عليها، وستعتريك الدهشة من هذا التوافق بين حالك هذا الذي تحياه الآن، وأنه يوجد ما يطابقه في أقاصيص من سبق، وأنك لست بدعًا من الخلق.

---

(١) **تاج اللغة وصحاح العربية**(٢/ ٥٦١).

ثم ذكر حجة أخرى على التفضيل ألا وهو تفضُّله ﷻ بالعفو بعد سقوطهم في شِرَاك السَّامِرِيّ وعبادة العجل، وما هي إلا أربعون يومًا قد غاب فيهم نبيهم، فكيف بالموجود في المدينة حين نزول تلك الآيات؟، وذلك في قوله:

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

إنَّ استعمال ﴿ثُمَّ﴾ في الربط بين الجملتين لتدليلٌ على عدم الأخذ بسرعة إيقاع العقوبة، أيْ أن المولى ﷻ قد أعطى لهم الوقت حتى يرجعوا عن أمرهم، وأيضًا عدم التعجيل بالتفضل والعفو، ثمَّ أسند العفو إلى (نا) الدالة على عظمة المتكلم، وأن هذا العفو لم يكن لأحد غير الله سبحانه قرار فيه، فهو وحده المتفضل عليكم بهذا العفو، وذلك ليخبركم أنَّكم إنْ شكرتم واتقيتم، فلكم المكانة والتفضيل، والقادر على العفو ابتداءً قادرٌ على جزيل العطاء انتهاءً.

ثم تأمل – رعاك الله – في جمْعِه ﷻ بين الكتاب والفرقان في حكم واحد وهو الإيتاء، فيقول عزَّ قائل:

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾.

وكأن مقتضى ظاهر اللفظين التكاليف الشاقة المجُهِدة، كتابان.. لرسول واحد وأمة واحدة، إن هذا لتكليفٌ قد شُدَّ به على ظهورهم، وهذا التغاير بين الكتاب والفرقان وكأنه التكليف المطلق، لكنه الأسلوب الأمثل للكناية عن موصوف، وفي تأويل الموصوف اختلفت وجهات النظر، وقد جمع وجهات النظر تلك السمرقندي في تفسيره حيث يقول:

"أي: أعطينا موسى التوراة وَالْفُرْقانَ، أي: الفارق بين الحلال والحرام، ويقال: الفرقان هو النُصْرة، بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾(١).

ويقال: الفرقان هو المخرج من الشبهات، ويقال: هو انفلاق البحر بدليل قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾(٢)(٣)".

وهكذا تتدرج الحجج الإلهية التي تدحر بني إسرائيل، وتجعلهم لا يستطيعون مقارعة الحجة بالحجة، وذلك لأن الحجج قد جاءت بما لهم به علم ومعرفة، ثمّ تراه ﷻ يضمر ردودهم وأقوالهم، وكأن حال من يحاجج الرسول ﷺ هو ذاته الذي كان على عهد موسى عليه السلام سريعًا ما يرتد على أدباره، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، ثم بالمجيء بعدها بقول سيدنا موسى عليه السلام ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمُ﴾، دلالة على أنهم لم يهتدوا بما أنزل عليهم.

---

(١) **سورة الأنفال**، من الآية رقم: ٤١.

(٢) **سورة البقرة**، من الآية رقم: ٥٠.

(٣) **ينظر: بحر العلوم**- لأبي الليث نصر السمرقندي تـ ٣٧٥هـ(١/ ١١٧) تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

فعُرِضَت القضيَّةُ أولًا: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾، ثمّ ذكر سبب هذا الظلم وذلك عن طريق حرف (الباء) الدال على السببية في قوله تعالى: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾، فكان المجيء بـ (فاء) العاقبة لتربط الفعل وما يؤدي إليه من جزاء ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ﴾، وفي عرض هذه الحجج ما يقطع على بني إسرائيل اعتداهم بما هم عليه، وحتى يستقرَّ الإسلام في قلوب حاضري تلك المحاجاة وقد تيقَّنَ بأن اليهود على لا شيء، وأن سبيل الإسلام هو السبيل والمناط.

أمّا من جهة استعمال أسلوب الحذف[١] كأسلوب حجاجي، فترى من خلال سرد الآيات أن الحذف قد شمل كل ردٍّ أو جواب للطرف الآخر من

---

(١) الحذف: إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام... والحذف من أفصح كلام العرب؛ لأن المحذوف كالمنطوق به، من حيث كان الكلام مقتضيا له، لا يكمل معناه إلا به، والحذف خلاف الأصل... ولمَّا كان الحذف بهذه المثابة، فقد أجمعوا على أنه لا يُصار إليه ولا يُسْتَحْسن إلا باجتماع شيئين:

أولهما: أن تدعو إليه ضرورة فنيَّة، مبناها على ما اختصت به العربية من الإيجاز وطرح فضول الكلام، والاكتفاء باللمحة الدالة، وطلب الخفة واليسر، رعاية للانسجام الصوتي في بعض أنواع الكلمة والكلام، ثم من قبل كل ذلك ومن بعده، إمتاعُ الذِّهْن بما تذهب إليه النفس في تقدير المحذوف المطويّ في ثنايا الكلام.

والآخر: أن يدل على المحذوف دليل". **أمالي ابن الشجري** – لابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ)(٨٣) تحقيق:د/ محمود محمد الطناحي– مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى– ١٤١٣هـ / ١٩٩١م .

المحاورة، وإذا حاولت جاهدًا أن تستخرج من النص القرآني جوابًا واحدًا لبني إسرائيل لن تراه إلا ضمنيًّا، وقد جسد هذا الصمت الرغبة في تنصل اليهود من نتائج تلك المحاجاة والتهرب من إلزام الحجة التي قادت إليها.

ومن حيث نظرت ترى الحجج تسطع دلائلها، فبعدما رحم وقبل التوبة، ترى كل هذه التأكيدات التي يؤكد به المولى ﷻ على أنه هو التواب الرحيم، وذلك عن طريق أسلوب بديع وهو التذييل[1] في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾.

وذلك للترغيب كما أشار الزركشي في برهانه قائِلًا:

"التَّرْغِيبُ كَقَوْلِهِ: ﴿**فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**﴾، أَكَّدَهُ بِأَرْبَعِ تَأْكِيدَاتٍ وَهِيَ (إِنَّ) وَضَمِيرُ الْفَصْلِ، وَالْمُبَالَغَتَانِ، مَعَ الصِّفَتَيْنِ لَهُ؛ لِيَدُلَّ عَلَى تَرْغِيبِ اللَّهِ الْعَبْدَ فِي التَّوْبَةِ فَإِنَّهُ إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ طَمِعَ فِي عَفْوِهِ[2]".

---

(١) **يعرفه حمزة بن يحيى العلوي قائلًا:** "هو عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام، وذلك التحقيق قد يكون لمنطوق الكلام، وتارة يكون لمفهومه". **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، – ليحيى بن حمزة العلويّ تـ ٧٤٥هـ(٣/ ٦١) المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٣هـ.

(٢) **ينظر: البرهان في علوم القرآن** – لأبي عبد الله الزركشي تـ ٧٩٤هـ(٢/ ٣٨٩) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم– دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى– ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

ومن جهة أخرى، مادامت التوبة قد قُبِلَتْ فلمَ كل هذه التأكيدات؟، وكأنه خروجٌ بالكلام عن مقتضاه، وفي مراعاة المقامات المختلفة للكلام يقول السكاكي:

"لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية،... ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام،... وهو الذي يسمى مقتضى الحال(١)".

فالربط بين الجملتين قد جاء على التمام، فدخول (إنَّ) على الكلام في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قد أحدث هذا التآلف والتناغم بين فقرات القضية المعروضة أو بين الجمل، وكأنَّ هذه الجمل أفرغت في قالب واحد لتدلّ على معنى محدد، ففي معنى (إنَّ) يقول عبد القاهر الجرجاني:

" أنكَ ترى الجملةَ إذا هيَ – إنَّ – دخلَتْ تَرتبِطُ بما قبْلَها وتأتلفُ معه وتَتَّحدُ به، حتى كأنَّ الكلامَيْنِ قد أُفرِغا إفراغًا واحدًا، وكأَن أحدَهُما قد سُبِكَ في الآخَرِ،... ومِنْ خصائِصِها أَنك تَرى لِضميرِ الأمرِ والشأنِ معها منَ الحُسْنِ واللطفِ ما لا تَراه إذا هي لم تَدْخُل عليه، بل تراه لا يصلحُ حيثُ

(١) **مفتاح العلوم**، (١٦٨).

صَلَحَ إلاّ بها[1]".

وكأن حالهم حال من ينكر أنَّ مردَّ قبول التوبة هو الله سبحانه، فجاءهم الكلام مؤكدًا بكل هذه المؤكدات، وسواء كان من بني إسرائيل أم كان من غيرهم، فمقتضى جملة التذييل هي الترغيب في الإقبال على التوبة، فهذه الأساليب تفيد إثبات المعنى بالدليل والحجة وبه تميزَّت عن غيرها، ولهذا يؤتى بها في مقام الحجاج والاستدلال، لعل هذا الترغيب يكون الغرس الذي ينبت في صدورهم، ويستسلموا للأمر الإلهي الذي ابتدأ به خطابه في قوله:

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾[2].

فمجيء جملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، على طريقة التذييل، لهو الأسلوب الأمثل في تأكيد قبول التوبة، فعن طريقه أكد منطوق الكلام ومفهومه بأن الله تعالى قد تاب؛ لأن حقيقة التوبة وماهيتها مسندة إليه ﷻ، فهو التواب الرحيم وليس غيره قابلًا للتوبة.

وفي فضل التذييل في الكلام يقول أبو هلال العسكري:

"للتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى

---

(١) **دلائل الإعجاز**(٣١٧).

(٢) **سورة البقرة**، من الآية رقم: ٤١.

يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحا...؛ لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن، وصح للكليل البليد[١]".

أما اتصال الجمل الذي جاء عن طريق ترك العاطف، فقد أشعر أن التركيب وما يتألف من جمَل مقصده تأكيد مضمون الحجة، كما هو بين الجملتين جملة ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وجملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فقد جاءت الجملة الثانية مؤكدة لمضمون الجملة الأولى، وهذا الاتصال قد أشاع نوعًا من الرحابة والسعة التي تدعو إلى الإقبال على هذا الإله، والمختص بقبول التوبة مع ما يترتب عليها من وجود الرحمة المطلقة.

وبذلك يكون قد أظهر التناقض الذي عليه بنو إسرائيل، فهذا فعله ﷻ معهم كيف كان؟، وفعلهم على أي حال كان هو؟!، ثمَّ بعد ذلك كيف كانت ردة فعلهم على هذه النعم وذاك التفضل؟.

وعن طريق ﴿إِذۡ﴾ التي تختزل جملةً حقها أن تضاف إليها، يقول ﷻ:

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾

(١) كتاب الصناعتين(٣٧٣).

أن (إذْ) تأتي في الكلام للشيء توافقه على حالٍ أنت فيها[1]، وكأن اليهود حاضري الحدث عندهم من الكبر والعناد مثل ما كانوا عليه زمنَ موسى عليه السلام، وعن طريقها تُستدعَى الحكايات الكاملة؛ لأن حقها تضاف إلى جملة، وعن طريقها يتم الربط بين كل نعمة وأخرى، وإذا ما تأملت سترى أن لغة الحوار هي الخطاب، أي أن هذه الحجج تلقى على مخاطَبٍ حاضر، كمثل:

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾، ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم﴾، ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾، ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾، ﴿عَفَوۡنَا عَنكُم﴾، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾، ﴿وَإِذ قُلۡتُمۡ﴾.

حتى إذ ما أرادوا نقض الحجة ونفي النعمة، ذُكر التفضيل المترتب على النعمة ليكون التفضيل مؤكدًا لتلك النعمة ومؤكدًا لذاته، فهذه الحجج وما هي عليه لمن تأمل فيها، ما هي إلا بعض النعم والتفضل الإلهي على أمة من الأمم، ولكن لا يعيها حق الوعي ولا يدرك كنهها إلا ذو الخلفية الثقافية والحياتية ممن آلفها وانسجم بها وعايشها، فإن ترابط النص وانسجامه وتأويله لا يمكن أن يحصل من غير افتراضات تكون لدى المتلقي، وهذه الافتراضات تكون جزءا لا يتجزأ من السياق الاجتماعي العام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٦١).

﴿ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في المعنى الحجاجي لتلك الآية الكريمة:

"وإنما قالوا: ﴿جَهۡرَةً﴾ ليؤكدوا قولهم، وينفوا إيهامَ الرؤية والرؤية بالقلب، ﴿فَأَخَذَتۡكُمُ﴾ أحرقتكم، ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ العذاب الذي فيه هلاك، إنما عُوقبوا لتمردهم وامتناعهم عن الشهادة إلى تحصيل منيتهم، ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ إلى الصاعقة حين نزلت، أي: ينظرُ بعضكم إلى هلاك بعض(١)".

وفي صفة الصاعقة اختلف أهل التفسير فيقول الطبري:

"اختلف أهل التأويل في صفة الصاعقة التي أخذتهم، فقال بعضهم بما: "حدثنا به الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (فأخذتكم الصاعقة)، قال: ماتوا.

وحدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (فأخذتكم الصاعقة) قال: سمعوا صوتا فصَعِقوا، يقول: فماتوا.

وقال آخرون بما: "حدثني موسى بن هارون الهمداني قال، حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط، عن السدي: (فأخذتكم الصاعقة)، والصاعقة: نار.

---

(١) ينظر: **درج الدرر في تفسير الآي والسور**- لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني تـ ٤٧١هـ(١/ ١٧٤)تحقيق: (الفاتحة والبقرة) وليد أحمد الحُسَيْن، إياد عبد اللطيف القيسي- مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى- ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

وقال آخرون بما: "حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: أخذتهم الرجفة، وهي الصاعقة، فماتوا جميعا.

وأصل الصاعقة: كل أمر هائل رآه المرء أو عاينه أو أصابه، حتى يصير من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب، وإلى ذهاب عقل وغمور فهم، أو فقد بعض آلات الجسم – صوتا كان ذلك أو نارا، أو زلزلة، أو رجفا، ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقا وهو حي غير ميت، قول الله عز وجل: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾(١)، يعني مغشيا عليه(٢)".

وفي استعارة الأخذ في قوله تعالى ﴿فَأَخَذَتْكُمُ﴾ للقتل والإماتة، علَّة تزيد من بشاعة هذا الأخذ، وكأن هذه الصاعقة كان لها يدٌ من خلالها قامت بعملية الأخذ، ومن المعاني التي يمكن أن يؤول إليها لفظ (أخذ) القبول ومنها قوله تعالى:

﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾(٣).

وهذا المعنى مع التعريف (بأل(٤)) للصاعقة الذي يدل على العهد مع

---

(١) **سورة الأعراف**، من الآية رقم: ١٤٣.

(٢) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**–لأبي جعفر الطبري تـ ٣١٠هـ(٢/ ٨٣) دار التربية والتراث، مكة المكرمة، بلا الطبعة: من دون .

(٣) **سورة آل عمران**، من الآية رقم: ٨١.

(٤) إن التعريف بأل أخصر من التعريف الإضافي، والضرورة داعية إلى اعتبار التعريف". **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**– لأبي العرفان محمد بن علي الصبان (٣/ ٣٩٠) دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى– ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

الاستغراق لجميع خصائص الجنس[١]، وكأن هذه الصاعقة صارت معهودةً عند بني إسرائيل فلن يستطيعوا إنكارها أو الجدل بشأنها، لكون الذي أخبر بها عندهم أشرافهم الذي ذهبوا مع موسى للقاء ربه، وكأنه حين لقاء سيدنا موسى بالله عز وجلّ يكون هناك أعاصير وصواعق تحجبه عن غيره، وهم يرون هذه الحالة التي يكون عليها الوجود ولكنهم في مأمنٍ منها، فلما تجبّروا وتجرأوا قبلتهم صاعقة معلومة بهيئتها ولهم بها ارتباط وعهد، ولم تك قبل ذلك تقبلهم في جوفها لاستمراريتهم على العهد.

فلو أنهم رددوا النّظر، وأجالوا الْفِكر، وكرروا الذّكر، وتدبروا العواقب، وطلبوا مَعَاني الدَّلَائِل، وشاهدوا بقلوبهم، وعقلوا هذا الملكوت؛ لتيقنوا أن الله ﷻ لا يدركه البصر إلا بقدرٍ منه؛ فلتهجمهم وجرأتهم كانت الصاعقة مأواهم، وبها قد تيقنوا من قدرته- سبحانه وتعالى- على تنفيذ مَا وعد سلفًا وتوعد بِهِ، فلو أنهم أفردوه بالمخافة والرهبة مع الأمل، وَالرَّغْبَة والثقة بِهِ، وذلك عن طريق إخلاص النِّيَّة لَهُ بِطَلَب مرضاته، وَاجْتنَاب مساخطه، لكَانَ عِنْدهم كرأي الْعين، بلَا مُعَاينَة مِنْهُم لما وعد وتوعد، وَلَكِن عَن الْفَهم والتفكير.

وعلى هذا يكون الحجاج لاستمالة الآخر، عن طريق المقدمات التي تكون كما التقارير المرتبطة بالدعوى المقامة ارتباطًا منطقيًا صالحًا للتدعيم بالشواهد والإحصاءات والأدلة والقيم، وكل ذلك لتدعيم المبررات التي عن

(١) يستخدم القرآن التعريف بأل، فتكون للعهد حينا، وللجنس حينا آخر، ومن أجمل مواقعها فيه أن تستخدم لاستغراق خصائص الجنس. **من بلاغة القرآن**- لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي(١٠٨) نهضه مصر، القاهرة- م.٢٠٠٥

طريقها انطلقت الدعوى، ومؤشر الحال يبين خط سير القضية من بدئها حتى حالتها النهائية التي هي عليه، لتظهر التحفظات التي على أساسها يكون الحكم.

ثم يكون التفضيل الإلهي بعد الأخذ بالصاعقة، وعن طريق ﴿ثُمَّ﴾ التي تعطي متسعًا من الوقت للطرف الآخر من المحاورة لترتيب أوراقه واستعادة اتزانه بعد تقهقره لكثرة الحجج الدامغة التي نالت من اعتراضاته، فعن طريقها يذكرهم المولى –سبحانه وتعالى– بفضله عليهم بعد هذا التجرؤ الذي كان منهم وكان عاقبته الأخذ، فيقول –سبحانه وتعالى– متفضلًا:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

والبعث[1] في هذه الآية إذا كان بمعنى أرسلنا كَقَوْل الله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾[2]، ومَعْنَاهُ: أرسلنَا، فإذا ما ضُمَّ إليه معنى الحبس الناشئ من لفظ (أخذ)، فهذا يدلُّ على أن أخذهم بالصاعقة كان بطريقة محددة ومخصوصة.

وفي عرض كل تلك الحجج دحضٌ لما جاء به يهود المدينة حبن

(١) البعث فِي كَلَام الْعَرَب على وَجْهَيْن: **أَحدهمَا: الْإِرْسَال... والبَعْث الآخر**: إثارةُ بارِكٍ أَو قَاعد، تَقول: بعثت الْبَعِير فانبعث، أَي: أثرته فثار، وقال الأصمعيّ: رجل بَعِث: لَا يكَاد ينَام، وناقة بَعِثة: لَا تكَاد تَبْرُك. **ينظر: تهذيب اللغة**(٢/ ٢٠٢). (بَعَثَ، بتصرف)

(٢) **سورة الْأَعْرَاف**، من الآية رقم: ١٠٣.

حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع الإتيان بالحجج عن طريق الحقيقة تارة وأخرى عن طريق المجاز، حتى تكون كما الإثبات ومعه الدليل ، فالمجاز فرع والفرع أدل على الأصل من طريقين.

ثم يذكرهم المولى عز وجل بنعمة هي عجيبة من العجائب، وهي تظليل الغمام، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1].

إنه الترفيه المطلق الذي يقابله العناد المطلق، فأي عقلٍ هذا الذي حوته رؤوسهم، ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، فكل هذه النعم قد صارت مقدمات للقضية الأساسية بأن الله لم يظلمهم شيئًا، وأنه قد أعطاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين.

وعلى ذلك فإن المراحل التي مرت عليها العملية الحجاجية في الآيات الكريمات، من تذكير بالنعم تارة، وذكر للفضل الذي به قد فضلوا تارة أخرى، لعلهم يستجيبون لنداء الحق الإلهي ويستجيبون لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن هناك المبررات المضادة لنقض القضية، لكنه الصمت الذي يدل على العجز وعدم القدرة على مقارعة الحجة بالحجة، وكذلك

(١) **سورة البقرة**، آية رقم: ٤٧: ٥٧.

جاءت كل الحجج مدعمة بالشواهد والأدلة، فجعلت المقدمات والتبريرات التي جاءت في صورة تذكير بما كان من الله سبحانه وتعالى، ثم ما كان منهم من تتبع لخطا الشيطان والنفس والهوى، فاستحقوا ما نالهم من عقوبة، بل وجعلت المقدمات والتبريرات أقوى مصداقية، حتى كان التحفظ الذي جاء في ختام القصة في قوله تعالى:

﴿**وَمَا ظَلَمُونَا**﴾، أي: بعطائنا لهم، فلم ينقص مما عند الله شيء فيلحقه نوع ظلم، ولكن العناد والاعتياد على اتباع النفس والشيطان من قِبَل بني إسرائيل لم يلحق ظلمهم إلا بهم هم وليس غيرهم، ولذلك جاء الحكم النهائي في هذه المحاجاة بأنهم قد ظلموا أنفسهم الظلم البين والواضح. وبهذا النفي فقد قلب النتيجة إلى النقيض، فقانون نفي العلاقة التراتبية للحجج التي أشار إليها (ديكرو)، ينص على أن نفي الحجة يعني عكس النتيجة(١).

وكما وُضِّح فالعبور من حجة إلى الأخرى كان عن طريق واسطة تبرر الصلة السببية التي وحدّت بين كل القضايا التي عرضت، فكل ما ذكر من مقدمات ودعم ومبررات، مع مؤشر الحال الذي يعبر عن الحالة التي عليها العملية الحجاجية من تدرج في الحجج وتراتب، ليصل إلى هذا التحفظ ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا**﴾، فعطاؤه –سبحانه وتعالى– لم يُنقص من ملكوته شيء.

ثم جاء الرابط بين كل المقدمات التي سبقت والنتيجة المنطقية التي

---

(١) ينظر: من أنماط الحجاج في علم المعاني(١٣٩٠).

وصل إليها الكلام، في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، فالرابط ﴿وَلَٰكِن﴾ يجعل النتيجة حتمية وواجبة، وبه يكون الحكم النهائي في عملية الحجاج؛ ولذلك جاءت النتيجة أنهم ﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، والحمد لله رب العالمين.

طريقة عرض الحجج:

إن طريقة عرض الحجج تختلف باختلاف الزمان والمكان والنوعية التي يقع معها الحجاج، وقد أشار علماء البلاغة إلى مقامات الحجج ومنهم السكاكي حيث يقول:

"ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام[١]".

فإن التعدد والتنوع في المقامات التي تستدعيها العملية الحجاجية، مع اختلاف الخلفية الاعتقادية التي يعتقدها الطرف الآخر من المحاورة، قد جاءت العبارات التي تمثل المقدمات في أسلوب دوري، وهذا النوع يمكن إدراك النهاية مع كل جملة، وذلك لأن جمله لها بداية ونهاية في ذاتها، فكل مقدمة تمثل دليلا قائما بذاته، ولكل جملة حجمها الذي يمكن إدراكه بسهولة، فإذا ما توجَّه النظر إلى مقامٍ واحد من المقامات التي ذكرها السكاكي أتى المعنى الحجاجي مبتورًا، ولكن النظر إلى مجمل المقامات التي ذكرها السكاكي، هو الذي سيعطي الصورة المجسمة التي يرسمها الطرف الآخر في خاطره لإقامة حججه المناقضة، ويدعم أدلته عند تغيُّر الصفة الحجاجية، ففي العملية الحجاجية كل المقامات متوقعة لأن الغرض هو إقناع الطرف الآخر من المحاجاة بما يريد، ولذلك لم يتسم

---

(١) **مفتاح العلوم**(١٦٨).

الحجاج بسمة الأسلوب، لأنه يجمع بين كل المقامات في آن واحد والحاكم عليه هو القاعدة البلاغية، ويشير إلى هذا النوع من الأساليب دكتور/ محمد الولي قائلًا:

"إن العبارات نوعان: **أحدهما**: العبارة المتصلة، **والآخر**: العبارة الدورية، يقول أرسطو: "وأقصد بالأسلوب المتصل: الأسلوب الذي ليس له نهاية في ذاته، وإنما يقف فقط حينما يتم المعنى... أما النوع الآخر من الأسلوب فيقوم في أدوار، وأقصد بالدور جملة لها بداية ونهاية في ذاتها، ولها حجم يمكن إدراكه بسهولة، وما يكتب بهذا الأسلوب يسهل تعلمه(١)".

فقد جاءت كل آية تحكي قصة كاملة لنعمة أنعم الله –سبحانه وتعالى– بها عليهم، وذلك مثلما في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، فهذه الآية عبرت عن قضية كاملة معلوم مبتدؤها وهو الذل والهوان الذي أحاط ببني إسرائيل، ومعلوم ختامها وهي تنجية الله سبحانه وتعالى لهم.

وكذلك قوله تعالى:

---

(١) **الخطابة والحجاج**(١٥٩).

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾، فهذه قضية أخرى مكتملة الحدود، فأسلوب العبارات الدورية هو الأجدى في العملية الحجاجية؛ لأن الناس جميعًا يتشوقون إلى رؤية النهاية، وكل تلك المقدمات التي عُرضت تعد برهانًا ذا حدين؛ لأنها تقود إلى الأقل ضررا وتكره الطرف الآخر من المحاجاة على اختيار واحد من بديلين ليسا في مصلحته، إمَّا الصمت الذي يمنح الفرصة للتبرم من قبول النتيجة، أو يدل على العجز التام لمقارعة الحجة والدليل بالحجة والدليل، أو إرغامه على قبول نتيجة الاستدلال بدفعه نحو البديل، والبديل هو الإذعان والخضوع وقبول النتيجة، وهي من الحجج التسخيرية الموجهة الى حصر المنافس في وضعية يستحيل حلها موضوعيا.

لقد جاءت المقدمات التي عرضها الله سبحانه وتعالى في صورة أشبه ما تكون واحدة، تذكير بما أنعم وتفضل مع ما ترتب على هذا التذكير من رد فعل اليهود حينئذ من التكبر والعناد وعدم التخلي عن عقيدة الإيمان بالمحسوس وفقط، فكل قضية عرضت ترى فيها أمرًا حسيًا، نجاة من عذاب حسي واقع بهم، انفلاق للبحر معلوم للعيان ومدرك بحواسهم، غرقٌ للآمر الناهي والجبروت المتسلط عليهم، ولم يكن غرقه خبرًا بل كان مشاهدًا بأعينهم وأمام ناظريهم.

وتُعدُّ الاستعارة أقوى الأقوال الحجاجية من نظيرتها الأقوال العادية، لكونها من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه

الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، باعتمادها إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري(١).

كما في قوله تعالى:

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

فاستعمل (العدل) للفدية، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، لأنها انتقال من اللازم إلى الملزوم كما أشار السكاكي قائلا:

"وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية، وهي الانتقال من معنى على معنى بسبب علاقة بينهما، كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني(٢)".

وكذلك استعيرت لفظة (يسومونكم) في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ لتدلَّ على الحال التي كانوا عليها زمن فرعون من الذلة والهوان، ومعها معنى المبالغة في بيان الصورة المرادة، وكأنهم ماشية في مرعى، ولم يكن مرتعهم بالمرتع الذي يغني ويسمن، بل كان مرعاهم سوء العذاب،

---

(١) **ينظر: أنواع الحجاج ومقوماته**، من بلاغة أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة- لجميل حمداوي(١٧٣).

(٢) **مفتاح العلوم** (٣٣٠).

وترى قضية أخرى تعرض عن طريق المجاز العقلي [١]، وذلك لأن المجاز العقلي يجعل مرامي الكلام بعيدة، لكن قريبة من الأفهام سهلة الاستحضار، وذلك لأن المرجع كما يقول الجرجاني:

"المرجع فيه والوجهُ إلى العقل المحض وليس للغة فيه حظٌّ،... لأن قضايا العقول هي القواعدُ والأُسُس التي يُبنى غيرها عليها، والأصولُ التي يُرَدُّ ما سواها إليها[٢]".

فبناء المجاز العقلي على المجاز اللغوي، وإسناده إلى (سوء العذاب) إسنادا عقليا، كان من شأنه أنْ زاد اللطف الذي يحتاج إلى قدر عالٍ من التأمل من قِبَلِ بني إسرائيل.

أمّا الحذف الذي اختزل الطرف الآخر، وعلى المبدأين اللذين صاغهما (موشلر) لتحديد قيمة الحجاجية لكل حجة، فحين تكون النتيجة ضمنية وقادمة عن طريق الاستنتاج، فهذا يلزم المتلقي بأن يستخرج من النص المعلومات الكافية لاستنباط هذه النتيجة الضمنية، وذلك لأن قيمة الحجة تحدد بما تحدثه من تناقض، وكل حجة لها قيمة في النتيجة، يقابلها حجة

---

(١) **أسرار البلاغة**(٣٧٣).

(٢) **يقول عبد القاهر الجرجاني:** "هذا الضربُ منَ المجاز على حدَّته كنزٌ من كنوزِ البلاغةِ، ومادَّةُ الشاعرِ المُفْلِق والكاتبِ البليغِ في الإبداع والإحسانِ، والاتِّساع في طرقِ البيان، وأنْ يجيءَ بالكلام مَطبوعًا مصنوعًا، وأن يضَعه بَعيدَ المرامِ، قريبًا منَ الأفهامِ". **دلائل الإعجاز**(٢٩٥).

مضادة لنتيجة معاكسة بنفس القيمة والمقدار[١].

وكل حجتين تملكان الوِجهة نفسها، وتخصصان لخدمة النتيجة نفسها، ولكنهما متعارضتان؛ لأنهما يخدمان نتيجتين متعاكستين، وقد جاء عرض الحجج خاليا من ردة فعل الطرف الآخر في المحاجة، فإن كل ﴿إِذْ﴾ وردت في النص الكريم وراءها جملة محذوفة، وبعد كل (قال) ذكرها المولى عز وجل، لابد أن يكون هناك جواب من اليهود الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يذكر، والصمت في الحجاج يدل على التسليم والاقتناع بالحجج التي تُلقى على مسامعه، أمَّا إذا كان هذا الصمت ممتدًّا فيعني عجز الصامت عن الاستمرار في تأمين التسلسل الحواري، وذلك لغايتين وهما:

أولهما: امتصاص ابتدارات الْمُحاور الآخر.

وهذا الامتصاص لم يكن من بني إسرائيل، لأن الحجج الملقاة على مسامعهم لها ما يدعمها من الدليل ويقويها.

والأخرى: لالتقاط النفس لإعادة ترتيب العدة الإقناعية.

والغاية الأخيرة هي التي يمكن التعويل عليها، لتعدد تلك المحاجاة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم واليهود[٢].

والواضح في عرض الحجج أنها لم تكن على منوال الحجج المنطقية

---

(١) **النظرية الحجاجية**(١١٠). (بتصرف)

(٢) **ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة**(١٩٠).

في البرهنة، فلم تكن للبنية المنطقية مثل التناقض، أو التماثل بنوعيه التام والجزئي حضور، ولم يكن هناك حجج شبيهة بالمنطقية كالعلاقات الرياضية، مثل علاقة الكل بالجزء، وعلاقة الأصغر بالأكبر وهكذا، وإنما جاءت الحجج في صورة مرسلة يغلب عليها الطابع التذكيري الذي يتخلله ذكر للجزاء والعقوبة.

وخلاصة ذلك:

فالبحث يرى أن الحجاج البلاغي في صورته الحديثة، ما هو إلا دمج بين لونين من ألوان البديع في البلاغة العربية، وهما:

الأول: الاستدراج، بمعناه الذي أشار إليه ابن الأثير، ويحي العلوي، والعصام.

الآخر: التدرج، اللون البديعي المعروف(١).

وبهذا الدمج يمكن لطرفي المحاورة من تقديم المعطيات المشفوعة بالأدلة والبراهين، وصولا إلى النتيجة المرجوة وهي الإقناع.

وعلى الرغم من الخصائص والدراسات التي حظيت بها كل النظريات اللسانية الحديثة، إلا أنها لا يمكنها إطلاقا إصدار حكم نقدي على الكلام، إمّا بالجودة أو الرداءة، ولا يمكنها إصدار حكم نقدي بتغليب أحد القائلين

---

(١) "إن الحجاج له خاصية توجيهية وخاصية تدرجية، فالقيمة الحجاجية للحجة تحدد وجهتها الحجاجية، والعلاقة بين الحجج تخضع لمبدأ التدرج؛ لذا وجب التمييز بين الروابط القضوية، وبين الروابط التداولية وبين العوامل". **ينظر: النظرية الحجاجية**، د/ طروس(١١٦).

على الآخر عند الموازنة بينهما، – وأيضًا – إذا قام جهبذان من جهابذة تلك المدارس اللسانية بتحليل نصٍّ ما، لن يتفق التحليلان وربما تراهما وكأنهما لنصين مختلفين أصالة، وهذا ما لن تجده إذا سرتَ على قواعد البلاغة العربية، لابد وأن يكون بين أي تحليل مهما كان محلله نسبٌ وصلة، وما هذه النظريات إلا وجهات نظر استرشادية لبيان معنى من المعاني التي يمكن أن يحتملها الكلام.

خاتمة

فيما مضى من صفحات البحث، كان الحديث عن الحجاج البلاغي نظريًا، من حيث: تعريفه لغويًا واصطلاحيًا، وموقعه في محيط الدرس البلاغي، وقيمه في العلوم اللسانية ، وفي كل مظاهر الحياة، وضوابطه، وأسسه، وملامحه، وعلاقته بالمذاهب والمدارس الأسلوبية الحديثة، من خلال آراء بعض البلاغيين والمفكرين العرب والأجانب قديمًا وحديثًا، في ذلك كله، ومصادرهم وروافدهم في هذا الحديث عن الحجاج البلاغي، وأنواع تلك المصادر والروافد.

ثم كان الحديث عن الحجاج البلاغي تطبيقيًا، من خلال الحديث عنه في آيات قرآنية كريمة، مختارة من سورة (البقرة) يحاجج الله–سبحانه وتعالى– فيها بني إسرائيل؛ ليذكرهم بنعمه عليهم.

وتبين من ذلك كله ما يلي:

- الحجاج في صورته الحديثة، ما هو إلا دمج بين لونين من ألوان البديع في البلاغة العربية، وهما:

الأول: الاستدراج بمعناه الذي أشار إليه ابن الأثير، ويحيى العلوي ، والعصام.

والآخر: التدرج، وهو اللون البديعي المعروف.

وبهذا الدمج يمكن لطرفي المحاورة تقديم المعطيات المشفوعة بالأدلة، والبراهين، وصولًا إلى النتيجة المرجوة، وهي الإقناع، وعلى الرغم من الخصائص والدراسات التي حظيت بها كل النظريات اللسانية الحديثة، إلا أنها لا يمكنها إطلاقا إصدار حكم نقدي على الكلام، إمّا بالجودة أو

الرداءة، ولا يمكنها إصدار حكم نقدي بتغليب أحد القائلين على الآخر عند الموازنة بينهما.

وأيضًا إذا قام جهبذان من جهابذة تلك المدارس اللسانية بتحليل نصٍّ ما، لن يتفق التحليلان وربما تراهما وكأنهما لنصين مختلفين أصالة، وهذا ما لن تجده إذا سرتَ على قواعد البلاغة العربية، لابد وأن يكون بين أي تحليل مهما كان محلله نسبٌ وصلة، وما هذه النظريات إلا وجهات نظر استرشادية لبيان معنى من المعاني التي يمكن أن يحتملها الكلام.

- من سياق البحث تبينت الأهمية القصوى للحجاج البلاغي، في التحاور والجدال والنقاش، ومقارعة الحجة بالحجة، وكذلك مكانته العالية في محيط علوم كثيرة، لاسيما في محيط البلاغة، والعلوم اللسانية، والمذاهب الأسلوبية الحديثة.
- حاجة الحجاج البلاغي القوي – الذي يعكس قدرة المتحاورين فيه على التأثير في الآخرين، وإقناعهم– إلى مقدمات ينبغي توافرها في المتحاججين، هي الموهبة أولًا، ثم صقلها بالاستعداد الثقافي والمعرفي بكل ألوانهما، والإحاطة بضوابط الحجاج البلاغي وأسسه، وقدرة المتحاججين على مواصلته ببراعة واقتدار، وتمكنهم من السيطرة على الآخرين أثناء الحجاج، بالاستعداد الجيد له، والإلمام بمؤهلاته ومتطلباته المختلفة، نظريًا وتطبيقيًا.
- تنوعت المصادر التي يستمد منها واضعو نظرية الحجاج البلاغي، وضوابطها وأسسها، وخصائصها، حيث رجعوا في ذلك إلى مصادر عربية وأجنبية قديمة وحديثة، وإلى مصادر منطقية ونفسية، واجتماعية وبلاغية، ولغوية، وغيرها، وأفادوا منها كلها، حيث توجد

إشارات كثيرة إليه، وأحاديث متعددة عنه، في تلك المصادر، حتى وإن اختلفت في سياقها.

- هناك سمات وضوابط كثيرة، حددها البلاغيون والمفكرون- قديمًا وحديثًا- للرقي بجودة الحجاج البلاغي، وتحقيقه التأثير القوي في المخاطبين، في سياق ذلك الحجاج ، ومراعاة تلك السمات والضوابط ضرورة من الضرورات التي ينبغي على المتحاججين الإلمام والالتزام بها أثناء الحجاج.
- كشف التحليل البلاغي للآيات القرآنية الكريمة -في سياق البحث- عن أطر الحجاج البلاغي وأنماطه فيها، وعن ملامحه وسماته، وقيامه على الأدلة اليقينية، والبراهين الساطعة المقنعة، التي لا تقبل الشك أو الجدل.
- كشف التحليل البلاغي للآيات القرآنية الكريمة عن وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، في سياق ما تضمنته الآيات الكريمة من حجاج بلاغي، مؤثر ومقنع، إلى أبعد وأعلى حدود التأثير والإقناع.
- تضمنت الآيات القرآنية الكريمة طرقًا وأساليب حجاجية، يتعلم منها دارسو البلاغة العربية وغيرها، كما قدمت دروسًا وعظات مؤثرة، ومقنعة، ومفيدة، للدارسين والباحثين في هذا المجال، وعليهم أن يعوها ويفهموها|، ويتعلموا منها كيفية الحجاج البلاغي الصحيح، كما يتعلم منها القراء كذلك.
- كشف التحليل البلاغي للحجاج في الآيات الكريمة، المعاني المقصودة من وراء استعمال الألفاظ في صورتها المفردة، وفي دلالتها التركيبية في سياق التراكيب، مما ساعد على استنباط المعنى الحجاجي، من خلال معطياته، التي اتضحت في عرض

الحجج، للوصول إلى مرحلة إقناع المتلقي، وبالتالي إقناع بني إسرائيل بهذا الحجاج البلاغي المؤثر والمقنع في سياق الآيات الكريمة.

مما يؤكد الإعجاز البياني في القرآن الكريم بشكل عام، وفي أسلوب الحجاج البلاغي في الآيات الكريمة المستشهد بها في سياق البحث بشكل خاص.

- وفي الختام، أرجو أن تكون الصورة العامة للحجاج البلاغي–نظريًا وتطبيقيًا– ووجوه الإعجاز البياني له في سياق الآيات القرآنية الكريمة، قد اتضحت تمام الوضوح في سياق البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

- الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله- د/ رضوان الرقبي ، الناشر: مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد: ٢، مجلد: ٤٠، عام النشر: ديسمبر ٢٠١١م.
- أسرار البلاغة-لعبدالقاهر الجرجاني تـ٤٧١هـ ، قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر-دار المدني- القاهرة.
- الأسلوب الأدبي بين الاتجاهين النحوي والبلاغي- لصلاح عيد- مكتبة الآداب، القاهرة- ١٩٩٣م.
- الأطر السوسيولوجية للحجاج- لشاييم بيرلمان ، ترجمة: أنوار طاهر- مجلة الكلمة، عدد: ١٤٦-٢٠١٩م.
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم - لإبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي تـ ٩٤٣هـ ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- من دون.
- إعجاز القرآن- لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب تـ ٤٠٣هـ ، تحقيق: السيد أحمد صقر- دار المعارف، مصر، الطبعة: الخامسة- ١٩٩٧م.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب- لابن ماكولا تـ ٤٧٥هـ ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني- دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة: الأولى، - ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.
- أمالي ابن الشجري - لابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق:د/ محمود محمد الطناحي- مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى- ١٤١٣هـ / ١٩٩١م .

- أنواع الحجاج ومقوماته، من بلاغة أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة- لجميل حمداوي ، مطبعة (Rive) بتطوان، المملكة المغربية، الطبعة: الأولى- ٢٠٢٠م.
- بحر العلوم- لأبي الليث نصر السمرقندي تـ ٣٧٥هـ ، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى- ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- البرهان في علوم القرآن - لأبي عبد الله الزركشي تـ ٧٩٤هـ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى- ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- بلاغة الإقناع في المناظرة- د/ عبداللطيف عادل -منشورات ضفاف- الطبعة الأولى-١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- بلاغة الحجاج الأصول والامتداد - تأليف: هندة كبوسي ، مجلة تاريخ العلوم، جامعة أم البواقي، العدد: التاسع، عام النشر: سبتمبر ٢٠١٧م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص- د/ صلاح فضل ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع- الكويت- ١٩٩٢م. (بتصرف).
- البلاغة العربية والبلاغات الجديدة، قراءة في الأنساق بين التراث والمعاصرة .
- البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى ، د/ محمد عرابي- مشروع اللسانيات التداولية بجامعة السانية وهران، الجزائر- ٢٠٠٨م/ ٢٠٠٩م.
- بيان إعجاز القرآن- ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، لأبي سليمان الخطابي تـ ٣٨٨هـ ، تحقيق: محمد خلف الله، د/ محمد

زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة- ١٩٧٦م.

- بيان من اجل ابستمولوجيا البلاغة الجديدة- لشاييم بيرلمان، ولوسي أولبرخت -تيتكا ، ترجمة: أنوار طاهر- مجلة الكلمة، عدد: ١٤٦- ٢٠١٩م.
- بيان من أجل ابستمولوجيا البلاغة الجديدة- لشاييم بيرلمان، ولوسي أولبرخت -تيتكا ، ترجمة: أنوار طاهر، الناشر: مجلة الكلمة، عدد: ١٤٦- ٢٠١٩م.
- البيان والتبيين- للجاحظ تـ٢٥٥هـ ، دار ومكتبة الهلال- بيروت- ١٤٢٣هـ.
- تأويل مشكل القرآن-لابن قتيبة الدينوري تـ: ٢٧٦هـ ، المحقق: إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تجليات الخطاب البلاغي ، لحمادي صمود – مكتبة المتنبي للنشر ، تونس -٢٠١٢م .
- التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه- لحمو النقاري ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة: الأولى- ٢٠٠٦م.
- تفسير الماتريدي- لمحمد الماتريدي تـ ٣٣٣هـ ، تحقيق: د/ مجدي باسلوم- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى- ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ثمرات الأوراق في المحاضرات -لابن حجة الحموي تـ ٨٣٧هـ ، مكتبة الجمهورية العربية، مصر- من دون.
- جامع البيان عن تأويل آيَ القرآن- لمحمد بن جرير الطبري تـ ٣١٠هـ ، تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار

هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن-لأبي جعفر الطبري تـ ٣١٠هـ ، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، بلا الطبعة: من دون .
- جمهرة اللغة – لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي تـ ٣٢١هـ ، المحقق: رمزي منير، بعلبكي- دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٩٨٧م.
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك- لأبي العرفان محمد بن علي الصبان ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى- ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- الحجاج بين النظرية والأسلوب
- الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر – للدكتور/ محمد سالم محمد أمين الطلبة ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة: الأولى- ٢٠٠٨م.
- خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني – للدكتور محمد أبي موسى ، مكتبة وهبة – القاهرة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م –ط/٤.
- الخطابة، أرسطوطاليس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، عام النشر: ١٩٧٩م.
- درج الدرر في تفسير الآي والسور- لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني تـ ٤٧١هـ ، تحقيق: (الفاتحة والبقرة) وليد أحمد الحُسَيْن، إياد عبد اللطيف القيسي- مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى- ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

- دلائل الإعجاز – لعبدالقاهر الجرجاني تـ٤٧١هـ ، تحقيق: محمود محمد شاكر – مطبعة المدني–دار المدني–الطبعة الثالثة–١٤١٣هـ.
- الرسائل– للجاحظ تـ٢٥٥هـ تحقيق:عبدالسلام هارون–مكتبة الخانجي– ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م.
- السلالم الحجاجية وقوانين الخطاب، مقاربة تداولية–المؤلف: د/ حمدي منصور جودي ، مجلة مقاليد، العدد: ١٣– ٢٠١٧م.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول – لمصطفى القسطنطيني المعروف بـ:(كاتب جلبي)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح– مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا–٢٠١٠م.
- شرح كتاب سيبويه – لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني تـ ٣٨٤هـ ، تحقيق: د/ سيف بن عبد الرحمن العريفي– جامعة: الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية–١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – ليحيى بن حمزة العلويّ تـ ٧٤٥هـ المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٣هـ.
- العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، المؤلف: جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، الناشر: الدار العربية للعلوم، عام النشر: ٢٠٠٦م.

- عندما نتواصل نتغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج- د/ عبد السلام عشير ، الناشر: أفريقيا الشرق، المغرب- ٢٠٠٤م.
- العين-للخليل بن أحمد تـ١٧٠هـ تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي-دار ومكتبة الهلال.
- في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية .
- قراءة جديدة للبلاغة القديمة- لرولان بارت، ترجمة: عمر أوكان ، الناشر: مطبعة إفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة: الأولى- ١٩٩٤م.
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر-لأبي هلال العسكري تـ ٣٩٥هـ ، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت- ١٤١٩هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- للزمخشري جار الله تـ ٥٣٨هـ ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن- لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق تـ ٤٢٧هـ ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ونظير الساعدي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- لسان العرب-لابن منظور تـ٧١١هـ تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون-دار المعارف- القاهرة.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- لابن الأثير تـ ٦٣٧هـ تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- الفجالة- القاهرة، الطبعة: الثانية- من دون.

- المحكم والمحيط الأعظم- لأبي الحسن بن سيده المرسي تـ ٤٥٨هـ ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- المحيط في اللغة -للصاحب بن عباد تـ ٣٨٥هـ ، تحقيق: الشيخ محمد آل ياسين، الناشر: عالم الكتب- من دون.
- المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم- لسعد الدين التفتازاني ، تحقيق: الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- معجم الفروق اللغوية-لأبي هلال العسكري تـ٣٩٥هـ ، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات- مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قم)، الطبعة: الأولى- ١٤١٢هـ.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير- للرازي تـ ٦٠٦هـ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠هـ.
- مفتاح العلوم -للسكاكي تـ ٦٢٦هـ ، تحقيق: نعيم زرزور- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- من أنماط الحجاج في علم المعاني- للدكتور/ على فتح الله أحمد محمد ، الناشر: مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا- من دون.
- من بلاغة القرآن- لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي ، نهضة مصر، القاهرة- م.٢٠٠٥

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء–لحازم القرطاجني ، تقديم وتحقيق:محمد الحبيب ابن الخواجة– دار الغرب الإسلامي–الطبعة الثالثة–١٩٦٦م.
- النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع– د/ محمد العبد، فصول للنقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد: ٦٠– ٢٠٠٢م. (بتصرف)
- نظرية أفعال الكلام ، المؤلف: أوستين، ترجمة: عبد القادر قنيني– ١٩٩١م.
- النظرية الحجاجية ، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، المؤلف: د/ محمد طروس، الناشر: مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، عام النشر: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- نقد الشعر– لقدامة بن جعفر بن قدامة تـ: ٣٣٧هـ ، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، الطبعة: الأولى– ١٣٠٢هـ.

فهرس الموضوعات

المسلسل	الموضوع
	ملخص البحث
١	مقدمة
٢	تمهيد
٣	أصل الحجاج البلاغي وروافده
٤	سمات الخطاب الحجاجي
٥	السلالم الحجاجية
٦	العلاقات الحجاجية وخصائصها
٧	النموذج التطبيقي للحجاج البلاغي
٨	من جهة اختيار اللفظ المناسب
٩	من جهة تناسب الألفاظ والأسلوب الأمثل
١٠	طريقة عرض الحجج
١١	خاتمة
١٢	فهرس المصادر والمراجع
١٣	فهرس الموضوعات